

ذكر الخاص بعد العام في القرآن الكريم

(دراسة استقرائية تحليلية)

إعداد

أ . د / أحمد إمام عبد العزيز عبيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية أصول الدين بطنطا

جامعة الأزهر

ذكر الخاص بعد العام في القرآن الكريم (دراسة استقرائية تحليلية)

أحمد إمام عبد العزيز عبيد

قسم: التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة لإسلامية بطنطا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: ahmedobeid.27@azhar.edu.eg

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى تطبيق موضوع من موضوعات البلاغة على القرآن الكريم وهو ذكر الخاص بعد العام. وقد اتبع الباحث فيه المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي.

وقد تناول البحث تعريف الإطناب لغة واصطلاحًا، والفرق بينه وبين الإيجاز والمساواة، وصور الإطناب، وتعريف ذكر الخاص بعد العام والغرض منه، ثم تناول أمثلة لذكر الخاص بعد العام في القرآن الكريم مقسمة على أربعة مباحث، وبين اختلاف المفسرين في بعضها وهل هي من باب ذكر الخاص بعد العام أو لا؟، ثم تحدث عن أهم نتائج البحث والاقتراحات.

وقد انتهى البحث إلى عدد من النتائج منها: أن موضوع ذكر الخاص بعد العام من الأهمية بمكان، وقد استعل القرآن الكريم هذا الأسلوب، ودراسته مما يُظهر مظهرًا من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وأن أئمتنا من علماء البلاغة والمفسرين قد عنوا بهذا اللون، وذكروه في مؤلفاتهم وبينوا أسراره، وأن الأسرار البلاغية لهذا اللون تدور حول الاهتمام بالخاص وبيان شرفه وفضله ومنزلته، حتى لكأنه من جنس آخر، وهناك أسرار أخرى سواء أكانت تتعلق بسياق الآية أو الآيات أم لا، وهذا ما حاولت أن أُلقي بعض الضوء عليه من خلال بحثي المتواضع.

ودعا البحث إلى أن يُعنى الباحثون بمثل هذه الموضوعات البلاغية التي تبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم، وأن يتم تناول هذا الموضوع تناولًا شاملًا بدراسة تطبيقية تتناول كل مواضعه في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الإطناب – الخاص – العام – ذكر الخاص بعد العام

Mentioning the Specific After the General in the Qur'an: An Analytical Inductive Study

Ahmed Imam Abdel Aziz Obaid

Department of Tafsir and Qur'anic Sciences, Faculty of Islamic Theology and Da’wah, Tanta, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt

Email: ahmedobeid.27@azhar.edu.eg

Abstract:

This study aims to apply one of the rhetorical topics to the Qur'an, namely the concept of mentioning the specific after the general. The researcher employed the inductive and analytical methods.

The research addresses the definition of Itnab (elaboration) linguistically and technically, the distinction between it and Ijaz (brevity) and Musawah (equality), and the forms of Itnab. It also examines the definition and purpose of mentioning the specific after the general. Subsequently, it presents examples of this rhetorical device in the Qur'an, divided into four sections, and discusses the differences among exegetes on some examples—whether they indeed fall under this category or not. The study concludes with the main findings and recommendations.

The study reached several conclusions, including:

The concept of mentioning the specific after the general holds great importance.

The Qur'an utilizes this rhetorical style, and studying it reveals an aspect of the Qur'an's miraculous eloquence.

Renowned scholars of rhetoric and exegesis have given considerable attention to this stylistic device, documenting it in their works and elucidating its subtleties.

The rhetorical secrets of this device revolve around

emphasizing the specific, highlighting its honor, virtue, and status as though it belongs to a distinct category. Additionally, there are other nuances related to the context of the verse(s), which this study attempts to shed light on within its modest scope.

The study recommends that researchers focus on such rhetorical topics that underscore the miraculous aspects of the Qur'an and that this particular subject be approached comprehensively through an applied study encompassing all its instances in the Qur'an.

Keywords: Elaboration (Itnab) - Specific - General - Mentioning the Specific After the General

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن هذا بحث متواضع أشرف بتقديمه؛ ليُنشر في حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا – جامعة الأزهر الشريف.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تبرز أهمية هذا الموضوع؛ حيث إنه يتعلق بجانب مهم تكلم عنه علماء البلاغة، وبعض العلماء الذين ألَّفوا في علوم القرآن، وتناوله بعض المفسرين في تفاسيرهم، وهو ذكر الخاص بعد العام، وقد استعمله القرآن الكريم في مواضع عديدة لأسرار متنوعة، ولذلك استخرت الله – عز وجل – ثم استعنت به – تعالى – وعزمت على الكتابة في هذا الموضوع؛ للوقوف على بعض المواضع الخاصة به وبيان أسراره مستعينًا بما كتبة علماؤنا الأجلاء.

الدراسات السابقة:

١ – عطف الخاص على العام لخلود بنت عبد الله المالكي، بحث منشور بمجلة كلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف سنة ٢٠٢٢م، وقد ركزت فيه الباحثة على الجانب النظري، أما هذا البحث فقد ركزت فيه على الجانب التطبيقي، واستخراج الأسرار البلاغية، والأسرار التي تتعلق بالسياق القرآني وغيرها.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قمت بتتبع بعض

المواضع التي ذكر العلماء أن فيها ذكر للخاص بعد العام، ودراستها، وتحليلها، وبيان السر فيها، وهل هي من قبيل ذكر الخاص بعد العام أو لا؟ كما سبقت ذلك بتمهيد تناولت فيه تعريف الإطناب لغة واصطلاحًا، والفرق بينه وبين الإيجاز والمساواة، ثم صور الإطناب، ثم تعريف ذكر الخاص بعد العام والغرض منه، ثم تناولت في أربعة مباحث أمثلة لبعض مواضع ذكر الخاص بعد العام في القرآن الكريم وبيان السر فيها.

هيكل البحث :

قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد وأربعة مباحث، وخاتمة :

أما المقدمة فقد تناولت الحديث فيها عن سبب اختيار البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وهيكله.

وأما التمهيد فقد خصصته للحديث عن:

أولًا: تعريف الإطناب لغة واصطلاحًا، والفرق بينه وبين الإيجاز والمساواة.

ثانيًا: صور الإطناب

ثالثًا: تعريف ذكر الخاص بعد العام والغرض منه.

وأما المباحث فهي:

المبحث الأول: أمثلة لبعض مواضع ذكر الخاص بعد العام في الربع الأول من القرآن الكريم، وبيان السر فيها.

المبحث الثاني: أمثلة لبعض مواضع ذكر الخاص بعد العام في الربع الثاني من القرآن الكريم، وبيان السر فيها.

المبحث الثالث: أمثلة لبعض مواضع ذكر الخاص بعد العام في الربع الثالث من القرآن الكريم، وبيان السر فيها.

المبحث الرابع: أمثلة لبعض مواضع ذكر الخاص بعد العام في الربع الرابع من القرآن الكريم، وبيان السر فيها.

وأما الخاتمة فقد تناولت فيها الحديث عن أهم نتائج البحث.

ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، رتبته أبجدياً، ذاكرًا اسم الكتاب أولًا، ثم المؤلف، ثم المحقق إن وجد، ثم دار النشر، ثم رقم الطبعة وتاريخها.

ثم آخراً فهرس الموضوعات .

والله أسأل أن أكون قد وفقت في هذا البحث ، وأن يهديني لما اختُلف فيه من الحق بإذنه ، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه ، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد

أولًا: تعريف الإطناب لغة واصطلاحًا، والفرق بينه وبين الإيجاز والمساواة:

تعريف الإطناب لغة:

يقول الإمام ابن فارس: "(طنب) الطاء والنون والباء أصلٌ يدلُّ على ثَبات الشَّيء و تمكنه في استطالة، من ذلك الطُّنُب: طُنُبُ الخِيام، وهي حبالُها التي تشدّ بها، يقال: طَنَّبَ بالمكان: أقام، والإِطْنابة: المِظلّة، كأنَّها إفْعالة من طَنَبَ؛ لأنها تثبت على ما تُظلِّله، والإِطْنابة: سيرٌ يشدُّ في طَرَف وترِ القَوْسِ، ومن الباب قولهم: أطنب في الشيء إذا بالغ، كأنَّهُ ثبت عليه إرادةً للمبالغة فيه، ويقولون: طَنِبَ الفَرَسُ، وذلك طول المَتن وقوَّته، فهو كالطُّنُب الذي يمدُّ ثم يثبَّتُ به الشيء، وكذلك أَطَنَبَت الإِبل، إذا تَبِعَ بعضُها بعضاً في السيرِ، وأطنبت الرِّيح إطْناباً، إذا اشتدّت في غُبار، ومعنى هذا أن ترتفع الغَبَرة حتى تصير كالإطنابة، وهي كالمظلَّة" (١).

ويقول الإمام ابن منظور: "والإِطْنابُ: الْبَلَاغَةُ فِي الْمَنْطِق والوَصْفِ، مَدْحًا كَانَ أَو ذَمًّا، وأَطْنَبَ فِي الْكَلَامِ: بالَغَ فِيهِ، والإِطْنابُ: الْمُبَالَغَةُ فِي مَدْحٍ أَو ذَمٍّ والإِكثارُ فِيهِ، والمُطْنِبُ: المَدَّاحُ لِكُلِّ أَحد" (٢).

ويقول الإمام الزبيدي: "أَطْنَبَ (الرَّجُلُ) في الكَلَام: (أَتى بالبَلَغَةِ في الوَصْفِ مَدْحاً كَان أَوْ ذَمًّا)، والإِطْنَابُ: البَلَاغَةُ في المَنْطِق والوَصْفِ مَدحاً كَانَ أَوْ ذَمًّا، وأَطْنَبَ في الكَلَام: بَالَغ فِيهِ، والإِطْنَابُ المُبَالَغَةُ في مدْح أَو ذَمَ والإِكْثَارُ فِيه، والمُطْنِبُ: المدَّاحُ لِكُلِّ أَحَد، وقال ابن الأَنْبَارِيّ: أَطْنَبَ في الوَصْفِ إِذَا بَالَغَ واجْتَهَد، وأَطْنَبَ في عَدْوِه إِذَا مَضَى فيه باجْتِهَاد ومُبَالَغَة" (٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة – مادة طنب – ج٣ ص ٤٢٦.

(٢) لسان العرب – مادة طنب – ج١ ص ٥٦٢.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس – مادة طنب – ج٣ ص ٢٨٠.

يتضح مما سبق: أن الإطناب في اللغة يدور حول معنى الإِطالة والإِكثار والطول والكثرة والزيادة عن المعتاد، فالإطناب في الكلام: المبالغة والإطالة والإكثار فيه، والإطناب في المدح والذم: المبالغة والإطالة والإكثار فيهما.

تعريف الإطناب اصطلاحًا:

تنوعت تعاريف العلماء للإطناب في الاصطلاح، فعرَّفه الإمام ابن الأثير بأنه "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة" (١).

وعرَّفه الإمـــام القزويني بقـــوله: "الإطناب تأدية أصل المـــراد بلفـــظ زائد عليه لفائدة" (٢). وهو مثل تعريف الإمام ابن الأثير

وعرَّفه الإمام ابن قيم الجوزية بقوله: "هو زيادة فى اللفظ لتقوية المعنى" (٣).

وهو مثل سابقيه إلا أن الإمام ابن الأثير والإمام القزويني قيداه بأن يكون لفائدة وهنا قصره على تقوية المعنى والفائدة أعم.

وعرَّفه الإمام الجرجاني بقوله: "هو أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة" (٤).

وهو مثل تعريف الإمامين ابن الأثير والقزويني لكنه لم يقيده كما قيداه بأن يكون ذلك لفائدة.

وجاء في معجم المصطلحات العربية أنّه: "أداء المعنى بلفظ زائد عليه لفائدة" (٥).

وهو مثل تعريف الإمامين ابن الأثير والقزويني.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج١ ص ٢١٧.

(٢) الإيضاح ص ١٢٨.

(٣) الفوائد ص ٩٠٧.

(٤) التعريفات ص ٣٠.

(٥) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبة، وكامل المهندس ص ٣٠.

تعقيب وترجيح:

أرى والله تعالى أعلم أن تعريف الإمام ابن الأثير ومن وافقه هو الأولى بالقبول؛ لأنهم قيدوا زيادة اللفظ على المعنى بأن يكون لفائدة، وهم بهذا يُفرِّقون بين الإطناب والتطويل، إذ التطويل: زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة، ويُفرِّقون بينه وبين التكرير الذي يأتي لغير فائدة، إذ التكرير: دلالة اللفظ على المعنى مكررا، فإن كان لفائدة دخل تحت الإطناب، وإن كان لغير فائدة لم يدخل في الإطناب؛ فالإطناب محمود والتطويل والتكرير بغير فائدة مذموم ([1]).

الفرق بين الإيجاز والإطناب والمساواة:

وضح العلماء الفرق بين كل من الإيجاز والإطناب والمساواة فالإيجاز: هو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ أقل منها، بشرط أن تكون وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح، كقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] فهذه الآية على وجازتها قد جمعت مكارم الأخلاق بأسرها، فاذا لم تَف العبارة بالغرض سمى إخلالًا وحذفاً رديئًا.

والإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، نحو ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] أي: كَبُرتُ.

والمساواة: هي تأديةُ المعنى المراد: بعبارة مساوية له بأن تكون الألفاظ على قدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض ([2]).

---

(١) يُنظر المثل السائر للإمام ابن الأثير ج١ ص ٢١٧، ٢١٨.

(٢) يُنظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للإمام بهاء الدين السبكي ج١ ص ٥٧٥ وما بعدها، ومفتاح العلوم للإمام السكاكي ص ٢٧٧ وما بعدها، وأساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة – المعاني) لأحمد مطلوب الرفاعي ص ٢٠٣ وما بعدها، والبرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ج٣ ص ٢٢٠، =

يتضح مما سبق: أن الأصل في الكلام المساواة، وهو أن تكون الألفاظ مساوية للمعاني التي عُبِّر بها عنها، وهذا كثير في كلام الناس، وأنه قد يخرج الكلام عن ذلك بأن تزيد المعاني عن الألفاظ، وهذا هو الإيجاز، بشرط أن يُوفَّي بالمعاني المراده، وإلا كان إخلالًا وحذفًا رديئًا، أو بأن تزيد الألفاظ عن المعاني، وهذا هو الإطناب، بشرط أن يكون لفائدة، فالإيجاز عكس الإطناب، والمساواة وسط بينهما.

أيهما أفضل: الإيجاز أم الإطناب ؟

اختلف العلماء في ذلك، فمنهم من رجَّح أن الإيجاز أفضل من الإطناب، ومنهم من رجَّح أن الإطناب أفضل من الإيجاز، ولكل حُجته، لكن الراجح – والله تعالى أعلم – أن ذلك يختلف باختلاف المقام واختلاف حال المخاطب، فإذا كانا يستوجبان الإيجاز فالأفضل الإيجاز دون الإطناب، وإن كانا يستوجبان الإطناب فالأفضل الإطناب، واستعمال أحدهما موضع الآخر خطأ، كما قال الشاعر:

يَرْمُونَ بِالْخُطَبِ الطِّوَالِ وتَارَةً ... وَحْيَ الْمَلاحِظِ خَشْيَةَ الرُّقَبَاءِ[1]

ومعناه: يخطُبون تارةً خُطَباً طِوالاً، إذا كان المقام وحال المخاطبين يقتضيان الإطالة، ويوجزون خطبهم تارةً أخرى إيجازاً يشبه وحْيَ الملاحظ أي الإشارة دون الكلام؛ خشية أن يسمعه من حولهم، وذلك إذا كان المقام وحال المخاطبين يقتضيان الإيجاز (٢).

=

والإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج٣ ص ١٧٩، والأصلان في عوم القرآن للدكتور/ محمد عبد المنعم القيعي ص ٣١٧ وما بعدها.

(١) البيت لأبي داود بن حريز، وهو من بحر (الكامل)، يُنظر : البيان والتبيين للإمام أبي عثمان الشهير بالجاحظ ج١ ص ٥٩، والعقد الفريد للإمام شهاب الدين ابن عبد ربه ج٤ ص ١٤٦، وزهر الآداب وثمر الألباب للإمام أبي إسحاق القيرواني ج١ ص ١٤٦.

(٢) يُنظر الصناعتين : الكتابة والشعر للإمام أبي الهلال العسكري ج١ ص ١٩٠، والإيضاح في علوم البلاغة

=

هل استعمل القرآن الكريم هذه الأساليب ؟

أولًا: الإيجاز: لقد اتفق العلماء على استعمال القرآن لهذا الإسلوب، ومن أشهر الأمثلة التي ذكرها العلماء للإيجاز قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقد كان من قول العرب قديمًا: القتل أنفى للقتل، وكانوا يعدون هذه العبارة من أبلغ ما قيل، وقد ذكر العلماء ما يَربو على ثلاثة عشر وجهًا تتفوق بها الآية الكريمة على قول العرب قديمًا ليس المقام ذكرها (١).

ثانيًا الإطناب: ذهب كثير من العلماء إلى أن القرآن الكريم استعمل هذا الإسلوب أيضًا، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]، إلا أن استعماله قليل فالغالب على القرآن استعمال الإيجاز (٢).

=

للإمام جلال الدين القزويني ج١ ص ١٣، وعلوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ/ أحمد المراغي ص ١٩٩.

(١) يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة للإمام جلال الدين القزويني ج٣ ص ١٨١ وما بعدها، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للإمام بهاء الدين السبكي ج١ ص ٥٨٦ وما بعدها، وأساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة – المعاني) لأحمد مطلوب الرفاعي ص ٢٠٩ وما بعدها، وعلوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي ص ١٨٩ وما بعدها، والبلاغة العربية لعبد الرحمن حسن حبنكة ج٢ ص ٣٥، والبرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ج٣ ص ٢٢٢ وما بعدها، والإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج٣ ص ١٨١ وما بعدها.

(٢) يُنظر الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج٣ ص ٢١٦ وما بعدها، والبلاغة العربية لعبد الرحمن حسن حبنكة ج٢ ص ٦٢، وما بعدها.

ويرى بعض العلماء أن القرآن إيجاز كله ولا يوجد فيه مساواة أو إطناب، وأن المواضع التي ذكر العلماء أن فيها إطنابًا أو مساواةً ليست كذلك، وأنه لا زيادة في ألفاظ القرآن الكريم إلا لفائدة، قد تغيب عن البعض، فليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة، وليس فيه حرف إلا جـاء لمعنى، وليس في القرآن كلمة مقحمة ولا حرف زائد زيادة معنوية، فالواجب إعمـال العقول والتفكر في الآيات؛ لاستنباط ما تحويه من دقائق وأسرار، والتضرع لله تعالى أن يهدينا لفهم كتابه العزيز الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]، وممن ذهب إلى هذا الرأي العلامة الدكتور/ محمد عبد الله دراز، والشيخ/ الزرقاني عليهما رحمة الله تعالى (١).

وأرى – والله تعالى أعلم – أن كلا الرأيين معتبر ويمكن الجمع بينهما بأن يُحمل الرأي الأول على الإطناب المحمود الذي يكون لفائدة، والثاني على المذموم الذي لا يكون لفائدة، وفوائد الإطناب في القرآن الكريم كثيرة لا تقتصر على ما ذكره العلماء، بل لا تكاد تُحصر، فالواجب التفكر والتدبر لا ستخراج هذه الفوائد، وبذلك يكون الإطناب في القرآن الكريم كالإيجاز، إلا أنه جاء في صورة الإطناب.

ثالثًا المساواة: ذهب بعض العلماء إلى وقوع هذا النوع في القرآن الكريم، ومن الأمثلة التي ذكروها على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ٦٨]، حيث يرون أن الألفاظ على قدر المعنى، وهناك أمثلة أخرى غير هذه ذكرها أصحاب هذا الرأي يستدلون بها على وقوع المساواة في القرآن

---

(١) يُنظر النبأ العظيم للدكتور/ محمد عبد الله دراز ص ١٦٢ وما بعدها، ومناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني ج٢ ص ٣٢٦، وما بعدها.

الكريم (١).

وذهب بعض العلماء إلى أن المساواة غير موجودة أصلًا في الكلام كله سواء أكان ذلك في القرآن أم في الكلام العادي، وذهب آخرون إلى أن المساواة موجودة في الكلام غير موجودة في القرآن الكريم، فهم متفقون على عدم وقوعها في القرآن الكريم وقد ناقش أصحاب هذا الرأي أدلة القائلين بوقوعها في القرآن الكريم (٢).

وأرى – والله تعالى أعلم – أن الرأي الثاني القائل بعدم وقوعها في القرآن الكريم هو الأولى بالقبول؛ لأن العلماء يرون أن المساواة غير محمودة ولا مذمومة، وكلام الله تعالى لابد أن يدخل تحت القسم المحمود، كما أن أدلة القائلين بوقوعها في القرآن الكريم لم تسلم من المناقشة، والأجدر التفكر في آيات القرآن الكريم، وإمعان النظر فيها؛ لاستخراج ما فيها من حِكم ودُرر وأسرار، فقد يتفضل الله تعالى بذلك على بعض العلماء دون بعض، وهذا فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء.

ثانيًا: صور الإطناب:

للإطناب صور كثيرة أهمها (٣):

---

(١) يُنظر الإيضاح للإمام جلال الدين القزويني ج٣ ص ١٨٠، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي ج٢ ص ٣٣١، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد إبراهيم الهاشمي ص ٢٠٧، وأساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة – المعاني) لأحمد مطلوب الرفاعي ص ٢٤٦، وعلم المعاني للدكتور/ عبد العزيز عتيق ص ٢٠٣، وعلوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ/ أحمد المراغي ص ١٩٠.

(٢) يُنظر الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج٣ ص ١٨٠، والنبأ العظيم للدكتور/ محمد عبد الله دراز ص ١٦٢ وما بعدها، ومناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني ج٢ ص ٣٢٦ وما بعدها، والأصلان في علوم القرآن للدكتور/ محمد القيعي ص ٣١٨، والبلاغة العربية لعبد الرحمن حسن حبنكة ج٢ ص ٢٤.

(٣) يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة للإمام جلال الدين القزويني ج٣ ص ١٩٦ وما بعدها، وعلوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) للشيخ/ أحمد المراغي ص ١٩٢ وما بعدها، وعلوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) =

(١) ذكر الخاص بعد العام:

مثل قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ **[البقرة: ٢٣٨]، فقد خصّ الله تعالى الصلاة الوسطى بالذكر مع أنها داخلة في عموم الصلوات؛ تكريمًا لها، وتعظيمًا لشأنها، وقد ذكرت مرتين: مرّة مندرجة تحت العام، وأخرى وحدها.**

(٢) ذكر العام بعد الخاص:

مثل قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾ **[نوح: ٢٨]، فالمؤمنون والمؤمنات لفظان عامّان يدخل فيهما مَن ذُكر قبل ذلك؛ وذلك لإفادة العموم مع العناية بالخاص، وقد ذكر مرّتين: مرة وحده، وأخرى مندرجا تحت العام.**

(٣) الإيضاح بعد الإبهام:

وذلك لإظهار المعنى في صورتين إحداهما مجملة، والثانية مفَصّلة، وبذلك يتمكن المعنى في نفس السامع فضل تمكن، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ٦٦﴾ **[الحجر: ٦٦]، فلفظ (الأمر) فصّل بالجملة** ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾ **والغاية تقرير المعنى بذكره مرّتين.**

=

للدكتور/ محمد أحمد قاسم – والدكتور/ محيي الدين الديب ص ٣٦٢ وما بعدها، وأساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة – المعاني) لأحمد مطلوب الرفاعي ص ٢٣١ وما بعدها، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد إبراهيم الهاشمي ص ٢٠٢ وما بعدها، وعلم المعاني لعبد العزيز عتيق ص ١٨٨ وما بعدها، والمنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني ج٢ ص ١٣٩ وما بعدها.

(٤) التوشيع:

وهو أن يؤتى في عجز الكلام غالبًا بمُثنى مفَسّر باسمين ثانيهما معطوف على الأول، نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ" (١).

وقد يكون المثّنى في أول الكلام، كقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُومٌ فِي دُنْيَا لَا يَشْبَعُ" (٢).

(٥) التكرار:

وهو ذكر الشيء مرّتين أو أكثر لغرض ما، مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر: ٣ – ٤]، فتوكيد الإنذار بالتكرار أبلغ تأثيرًا، وأشدّ تخويفًا.

(٦) الاعتراض:

هو أن يؤتى في أثناء الكلام، او بين كلامين متّصلين بالمعنى، بجملة أو أكثر، لا محلّ لها من الإعراب لفائدة سوى فائدة دفع الإيهام، وذلك لغرض ما مثل قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [الواقعة: ٧٥ –

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب الرقائق – باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر– حديث رقم (٦٤٢٠) ج٨ ص ٨٩.

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك – كتاب العلم– حديث رقم (٣١٢) ج١ ص ١٦٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، و لم يخرجاه و لم أجد له علة.
وقال الحافظ الذهبي في التلخيص: على شرطهما و لم أجد له علة.
وأخرجه الإمام الدارمي في سننه– المقدمة– باب في فضل العلم والعالم – حديث رقم (٣٤٣) ج١ ص ٣٥٥، والإمام ابن أبي شيبة في مصنفه – كتاب الأدب – باب ما جاء في طلب العلم وتعليمه – حديث رقم (٢٦١١٨) ج٥ ص ٢٨٤.

٧٦]، ففي الآيتين اعتراضان: الأوّل: إنه لقسم عظيم، والثاني: لو تعلمون، وقد أريد بهما تعظيم القسم، وتفخيم أمره.

(٧) التذييل:

هو تعقيب الجملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها للتأكيد، مثل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١]، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ تذييل أُتي به لتوكيد الجملة قبله.

(٨) التكميل أو الاحتراس:

وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الإيهام، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، فقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ توهم أن يكون ذلك لضعفهم، فدفع ذلك الوهم بقوله تعالى (أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) ففي ذلك تنبيه على أنّ تلك الذلّة ليست إلا تواضعًا منهم بدليل أنهم أعزّة على الكافرين.

(٩) التتميم:

وهو أن يؤتى بفضلة أو حشو في ما لا يوهم خلاف المقصود، وذلك على سبيل المبالغة، مثل قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢]، فمما تحبّون تتميم لأنّ المعنى يتمّ بقوله: ﴿تُنفِقُوا﴾.

ثالثًا: تعريف ذكر الخاص بعد العام والغرض منه:

العام لغة:

يُطلق العام في اللغة على الطول والعلو والكثرة والتمام، يُقال: نخلة عَمِيمة: أي طويلة، وجارية عَمِيمة: أي طويلة، والعَمِيم: الطويل من الرجال والنبات، وبقرة عَمِيمة: أي تامة الخَلْق، والعمُّ: أخ الأب، ويُقال: اعتَمَّ النبات اعْتِمامًا إذا التف وطال، والعِمَامة: لباس الرأس المعروف، والعَمّ: الجماعة من الناس، وكل ما اجتمع وكثر فهو عَمِيم، وعمَّنا هذا الأمر يعُمُّنا عُمومًا إذا أصاب القوم أجمعين، والعامَّة: القحط العام، وأيضًا القيامة؛ لأنها تعم الناس بالموت (1).

العام اصطلاحًا:

تعددت تعريفات العام في مؤلفات علوم القرآن، منها:

١ - هو لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر (2).

٢ - هو لفظ وضع للدلالة على أفراد غير محصورين على سبيل الاستغراق والشمول، أو هو اللفظ الذي يستغرق جميع ما يصلح له من أفراد من غير حصر كمي أو عددي (3).

٣ - هو اللفظ الذي نجده دالًّا في أصل وضعه اللغوي على استغراقه جميع الأفراد التي

---

(١) يُنظر لسان العرب للإمام جمال الدين ابن منظور – مادة عمم - ج١٢ ص ٤٢٣ وما بعدها، ومختار الصحاح للإمام زين الدين الرازي – مادة عمم – ج١ ص ٢١٨، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للإمام أبي نصر الفارابي – مادة عمم – ج٥ ص ١٩٩١ وما بعدها، وتاج العروس من جواهر القاموس للإمام مرتضى الزبيدي – مادة عمم – ج٣٣ ص ١٤٣ وما بعدها، وتهذيب اللغة للإمام أبي منصور الأزهري – باب العين مع الميم – ج١ ص ٨٧ وما بعدها، ومعجم مقاييس اللغة للإمام ابن فارس – مادة عمَّ – ج٤ ص ١٥ وما بعدها.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج٣ ص ٤٨، ويُنظر نفحات من علوم القرآن لمحمد أحمد معبد ص ٧٣.

(٣) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره للدكتور/ محمد علي الحسن ص ١٧٥.

يصدق عليها في معناه من غير حصر كمي ولا عددي ([1]).

٤ – هو لفظ شامل أكثر من اثنين بناء على أن المثنى لا يدخل فيه ([2]).

٥ – هو اللفظ الدال على شيئين فصاعدًا من غير حصر ([3]).

تعليق وتعقيب:

يُلاحظ مما سبق أن التعريفات الاصطلاحية للعام متقاربة في المعنى، كما أنها ترتبط بمعنى الإحاطة والشمول من المعاني اللغوية التي سبق ذكرها في التعريف اللغوي، وإن كنت أرى – والله تعالى أعلم – أن أدقَّها تعريف الإمام السيوطي الأول.

الخاص لغة:

الخاص لغة مأخوذ من الفعل خصَّ، وقد وُضع لغة لعدة معان يعنينا منها: التفرد بالشيء، يُقال: فلان خُصَّ بكذا: أي أُفرد به ولا شركة للغير فيه، وخصَّه بالشيء يَخُصُّه خَصًا وخُصُوصًا وخُصوصية وخَصوصية والفتح أفصح أي: فضَّله دون غيره وميَّزه، وخصَّه بالود إذا فضَّله دون غيره، والخاص والخاصة ضد العام والعامة ([4]).

الخاص اصطلاحًا:

تعددت تعريفات الخاص في مؤلفات علوم القرآن، منها:

١ – هو اللفظ الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر ([5]).

---

(١) مباحث في علوم القرآن للدكتور/ صبحي الصالح ص ٣٠٤.

(٢) الأصلان في علوم القرآن للدكتور/ محمد القيعي ص ٣٦٠.

(٣) دراسات في علوم القرآن للدكتور/ فهد الرومي ص ٤٠٩.

(٤) يُنظر لسان العرب للإمام جمال الدين ابن منظور – مادة خصص – ج٧ ص ٢٤ وما بعدها، وتاج العروس من جواهر القاموس للإمام مرتضى الزبيدي – مادة خصص – ج١٧ ص ٥٥٠ وما بعدها، ومعجم مقاييس اللغة للإمام ابن فارس – مادة خصَّ – ج٢ ص ١٥٢، ١٥٣.

(٥) دراسات في علوم القرآن للدكتور/ فهد الرومي ص ٤١٨، ونفحات من علوم القرآن لمحمد أحمد معبد ص ٧٥، ودراسات في علوم القرآن للدكتور/ محمد بكر إسماعيل ص ٢١٥.

٢ – هو اللفظ الموضــوع للدلالة على فرد واحد مثل محمد أو واحد بالنوع مثل رجل، أو على أفراد محصورة الكم والعـــدد كاثنين وعشـــرة وألف وقـــوم وأُمَّة وطائفة وفريق (١).

٣ – هو اللفظ الذي وُضع لفرد واحد ولا يتناول غيره وضعًا (٢).

تعليق وتعقيب:

يُلاحظ مما سبق أن التعريفات اللغوية بينها اختلاف؛ حيث إن بعضها قد وَسَّع دائرة الخاص بينما ضَيَّقها البعض الآخر، وأرى – والله تعالى أعلم – أن التعريف الأخير منها الذي يرى أن الخاص: هو اللفظ الذي وُضع لفرد واحد ولا يتناول غيره وضعًا هو المناسب لبحثي هذا والأقرب لتعريف ذكر الخاص بعد العام، وهو يتفق مع المعنى اللغوي السابق وهو التفرد بالشيء.

تعريف ذكر الخاص بعد العام:

المراد بالعامّ هنا ما كان شاملًا في معناه لمقابله وهو الخاص، وبالخاص ما كان داخلًا ضمن العام، فيؤتى به معطوفًا على العام بالواو، وليس المراد العام والخاص في مصطلح علم أصول الفقه (٣).

الغرض من ذكر الخاص بعد العام:

الغرض البلاغي من هذا النوع من الإطناب هو التنبيه على فضل الخاص وزيادة التنويه بشأنه، حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلًا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات وعلى هذا بنى المتنبي قوله:

---

(١) مباحث في علوم القرآن للدكتور/ صبحي الصالح ص ٣٠٧.

(٢) الأصلان في علوم القرآن للدكتور/ محمد القيعي ص ٣٦٣.

(٣) يُنظر البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ج٢ ص ٤٦٤، والبلاغة العربية لعبد الرحمن حسن حبنَّكة ج٢ ص ٦٩.

فَـإِنْ تفُـقِ الْأَنـامَ وَأَنـتَ مِـنْهُمْ   فَـإِنَّ الْمِسْـكَ بَعْـضُ دَمِ الْغَـزَالِ(١)

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فقد خَصَّ الله تعالى الصَّلاةِ الْوُسْطى: أي صلاة العصر بالذكر مع أنها داخلة في عموم الصلوات؛ تنبيها على فضلها الخاص حتى كأنها لفضلها جنس آخر مغاير لما قبلها، فالغرض البلاغي من هذا الإطناب هو التنويه بشأن الخاص (٢).

هذا بالإضافة إلى أغراض أخرى سواء أكانت تتعلق بالسياق الوارد فيه أم لا، وهي تختلف من مفسر إلى آخر، وهذا فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء.

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي من بحر الوافر، يُنظر أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه للإمام أبي منصور الثعالبي ص ٥٠، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر للإمام ضياء الدين ابن الأثير ج١ ص ٣١١، وزهر الآداب وثمر الألباب للإمام أبي إسحاق القيرواني ج١ ص ١٣٠، ونهاية الأرب في فنون الأدب للإمام شهاب الدين النويري ج٧ ص ١٤.

(٢) يُنظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر للإمام ضياء الدين ابن الأثير ج٢ ص ١٦١، والإيضاح في علوم البلاغة للإمام جلال الدين القزويني ج ٣ ص ٢٠٠، وعلم المعاني لعبد العزيز عتيق ص ١٩٠، وعلوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) للدكتور/ محمد أحمد قاسم، والدكتور محيي الدين ديب ص ٣٦٢، وأساليب بلاغية، (الفصاحة – البلاغة – المعاني) لأحمد مطلوب الرفاعي ص ٢٣٣، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد الهاشمي ص ٢٠٢.

المبحث الأول
أمثلة لبعض مواضع ذكر الخاص بعد العام
في الربع الأول من القرآن الكريم ،وبيان السر فيها

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧ – ٩٨].

حيث ذكر الحق عز وجل الملائكة ثم عطف عليهم جبريل وميكائيل عليهما السلام، فذُكرا مرتين مرة ضمن العام ومرة مخصوصَين.

سبب نزول الآيتين الكريمتين:

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: "أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ نَسْأَلُكَ، عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ أَجَبْتَنَا فِيهَا اتَّبَعْنَاكَ، وَصَدَّقْنَاكَ وَآمَنَّا بِكَ. قَالَ: فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ، قَالُوا: اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «تَنَامُ عَيْنَاهُ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ»، قَالُوا: أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤَنِّثُ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ تُذْكِرُ؟ قَالَ: «يَلْتَقِي الْمَاءَانِ، فَإِنْ عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ آنَثَتْ، وَإِنْ عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ» قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالُوا: فَأَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ يَصْرِفُهُ حَيْثُ شَاءَ اللهُ» قَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ؟ قَالَ: «زَجْرَةُ السَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ»، قَالُوا: صَدَقْتَ. قَالُوا: فَأَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: «كَانَ يَسْكُنُ الْبَدْوَ، فَاشْتَكَى فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ إِلَّا لُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا»، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالُوا: فَأَخْبِرْنَا مَنِ الَّذِي يَأْتِيكَ مِنَ

الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَيَأْتِيهِ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِالرِّسَالَةِ، وَالْوَحْيِ، فَمَنْ صَاحِبُكَ؟ فَإِنَّمَا بَقِيَتْ هَذِهِ قَالَ: «جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» قَالُوا: ذَلِكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ، ذَلِكَ عَدُوُّنَا، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْقَطْرِ تَابَعْنَاكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ} [البقرة: ٩٧]" الْآيَةَ (١).

المعنى الإجمالي للآيتين الكريمتين:

من قبائح اليهود، قولهم إن جبريل – عليه السلام – هو عدونا، ولذلك لا يؤمنون بوحى يجيء به عدوهم، فهم لا يؤمنون بالنبي– صلى الله عليه وسلم – من أجل ذلك، فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم بأن من كان عدوًّا لجبريل؛ لأنه جاءك بالقرآن فهو عدو لله، فإن جبريل نزل بالقرآن على قلبك بإذن الله مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية، وهدى ورحمة، وبشرى للمؤمنين، ولم يأت به إليك من عند نفسه، ومن عادى ملكًا جاءك من عند الله بكتاب هذا شأنه، فإنه عدو لله الذي أرسله، ثم أكد الله تعالى هذا القول ببيان أن من كان عدوًا لله وملائكته ومنهم جبريل وميكائيل ورسله ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله عدو للكافرين، ومن عاداه الله باءَ بالعذاب المهين (٢).

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل – مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما – حديث رقم (٢٤٨٣) ج٣ ص ١٢٨، ١٢٩، يقول الشيخ/ أحمد شاكر: إسناده صحيح.
وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير – حديث رقم (١٢٤٢٩) ج١٢ ص ٤٥.

(٢) يُنظر تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ج١ ص ١٨٣، ١٨٤، وتفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للإمام نظام الدين النيسابوري ج١ ص ٣٤١ وما بعدها، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج١ ص ١٤٨، ١٤٩.

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع (١):

السر في ذلك يرجع إلى عدة أمور:

١ – الدلالة على فضلهما وشرفهما؛ فهُما وإن كانا من الملائكة إلا أنهما باعتبار ما لهما من المزية صارا جنسًا آخر أشرف من جنس الملائكة.

٢ – أن في ذلك انتصارًا لجبريل عليه السلام سفير الله تعالى لأنبيائه؛ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم وميكائيل وليّهم؛ فلذلك ذكره أولًا في الآية الأولى، ثم قرنه بميكائيل عليه السلام في الآية الثانية، وأعلمهم أن من عادى واحدًا منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضًا.

٣ – أن المحاجة مع اليهود كانت في جبريل وميكائيل عليهما السلام، كما سبق؛ فلذلك أفردهما بالذكر، مع أنهما داخلان في عموم الملائكة.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨].

حيث أمر الحق سبحانه وتعالى بالمحافظة على الصلوات ثم عطف عليها الصلاة الوسطى، مع أنها داخلة في الصلوات، فذُكرت مرتين مرة ضمن العام ومرة وحدها.

سبب نزول الآية الكريمة:

ورد في سبب نزول الآية روايات، منها:

١ – ما أخرجه الإمام أبو داود عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "كانَ رسولُ الله –

---

(١) يُنظر تفسير القاسمي (محاسن التأويل) للإمام جمال الدين محمد بن محمد القاسمي ج١ صـ ٣٦٠، ٣٦١، وتفسير الشوكاني (فتح القدير) للإمام محمد بن علي الشوكاني ج١ صـ ١٣٧، والأساس في التفسير لسعيد حوى ج١ صـ ١٩١، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج١ صـ ١٥٠.

صلى الله عليه وسلم – يُصَلِّي الظهرَ بالهاجِرَةِ، ولم يكن يُصلِّي صلاةً أشَد على أصحابِ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – منها، فنزلَت: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} [البقرة: ٢٣٨] وقال: "إنَّ قبلَها صلاتَين وبعدَها صلاتَين" (١).

٢ – ما أخرجه الإمام ابن حبان عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: "كُنَّا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَلِّمُ أَحَدُنَا صَاحِبَهُ فِي الصَّلَاةِ فِي حَاجَتِهِ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: ٢٣٨] فأُمرنا حينئذ بالسكوت" (٢).

وللجمع بين هاتين الروايتين أقول: إن الأولى خاصة بصدر الآية ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسۡطَىٰ ﴾ والثانية خاصة بعَجُزها ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾، والذي يعنينا هو السبب الأول المتعلق بهذا المثال، والله تعالى أعلم.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

أمر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة بالمحافظة على الصلوات، والمحافظة عليها تقتضي أداؤها في أوقاتها: مستكملة لأركانها وشروطها: مشتملة على الخشوع والخضوع حين أدائها، تعظيمًا لله تعالى الذي يقف المصلي بين يديه، حتى تأتي بالغاية المنشودة التي شُرعت من أجلها، وهي أنها تنهي عن الفحشاء والمنكر، وأمر أيضًا: بالمحافظة على الصلاة الوسطى، وفي ختام الآية أمر سبحانه وتعالى بالاهتمام والتشمير عن ساعد الجد في الصلاة، لأجل الله وحده، بلا رياء ولا سمعة، خاضعين لله خاشعين (٣).

---

(١) سنن أبي داود – كتاب الصلاة – باب وقت صلاة العصر – حديث رقم (٤١١) ج١ صـ ٣٠٧، ٣٠٨، يقول الشيخ/ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) صحيح ابن حبان – كتاب الصلاة – باب ما يُكره للمصلي وما لا يُكره – حديث رقم (٢٢٤٥) ج٦ ص ١٧، ١٨، يقول الشيخ/ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرطهما.

(٣) ينظر تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للإمام أبي محمد الحسين البغوي ج١ ص ٢٦٧، =

بيان المراد بالصلاة الوسطى:

اختلف العلماء في المراد منها على أقوال، فمنهم من يرى أنها صلاة الصبح، ومنهم من يري أنها صلاة الظهر، ومنهم من يرى أنها غير متعينة كليلة القدر، لكن الأكثرون على أنها صلاة العصر، وهو الراجح لكثرة أدلته وقوتها وصراحتها، وأن منها ما هو مرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم.

ومن هذه الأدلة:

١ – ما أخرجه الإمامان البخاري ومسلم عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: "شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا"، ثُمَّ صَلَّاهَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ" (١).

٢ – ما أخرجه الإمام ابن خزيمة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الصَّلَاةُ الْوُسْطَى صَلَاةُ الْعَصْرِ" (٢).

فقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم في هذين الحديثين أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر.

=

وتفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) للشيخ/ محمد رشيد رضا ج٢ ص ٣٤٥، ٣٤٦، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج١ ص ٤٠٤.

(١) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير – باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة – حديث رقم (٢٩٣١) ج٤ ص ٤٣، ٤٤.

وصحيح مسلم – كتاب المساجد ومواقيت الصلاة - باب التغليظ في تفويت صلاة العصر – حديث رقم (٦٢٧) ج١ ص ٤٣٦، ٦٣٧.

(٢) صحيح ابن خزيمة – كتاب الصلاة – باب ذكر صلاة الوسطى التي أمر الله عز وجل بالمحافظة عليها على التكرار والتأكيد بعد دخولها في جملة الصلوات التي أمر الله بالمحافظة عليها – حديث رفم (١٣٣٨) ج١ ص ٦٥٤، يقول الدكتور/ محمد مصطفى الأعظمي: إسناده صحيح.



٣ - ما أخرجه الإمام مسلم عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ} [البقرة: ٢٣٨] وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَقَرَأْنَاهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ نَسَخَهَا اللهُ، فَنَزَلَتْ: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} [البقرة: ٢٣٨]" فَقَالَ رَجُلٌ كَانَ جَالِسًا عِنْدَ شَقِيقٍ لَهُ: هِيَ إِذَنْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَقَالَ الْبَرَاءِ: قَدْ أَخْبَرْتُكَ كَيْفَ نَزَلَتْ، وَكَيْفَ نَسَخَهَا اللهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ "(١).

فهذا الحديث يبين أنها سُمِّيت باسمها (صلاة العصر) أول نزول الآية، ثم نُسخت إلى الصلاة الوسطى بعد ذلك، وهذا يدل على أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر.

كما أن تسميتها بالوسطى دليل على أنها صلاة العصر؛ لتوسطها بين صلاتين في النهار (الصبح والظهر) وصلاتين في الليل (المغرب والعشاء).

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع (٢):

السر في ذلك يرجع إلى عدة أمور:

١ - بيان فضلها وشرفها، وعلو منزلتها.

٢ - إغراء المصلين بها، وحثهم على الالتزام بصلاتها في موعدها وعدم تأخيرها.

٣ - أن التكليف في أدائها أشق؛ لتهافت الناس على تجارتهم ومكاسبهم آخر النهار، واشتغالهم بمعايشهم في ذلك الوقت.

٤ - ما امتازت به صلاة العصر من الخصائص والفضائل.

وقد أقسم الله تعالى بها في كتابه الكريم وسَمَّى السورة باسمها فقال ﴿ وَٱلْعَصْرِ

---

(١) صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواقيت الصلاة - باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر - حديث رقم (٦٣٠) ج١ ص ٤٣٨.

(٢) يُنظر تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للإمام أبي محمد الحسين البغوي ج١ ص ٢٦٧، وتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ج ١ ص ٢٠٢، وتفسير القاسمي (محاسن التأويل) للإمام جمال الدين محمد القاسمي ج٢ ص ١٦٥.

﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ (العصر: ١ – ٣)، وورد في فضلها أحاديث كثيرة، منها:

١ – ما أخرجه الإمامان البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الَّذِي تَفُوتُهُ صَلاَةُ العَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ" (١).

٢ – ما أخرجه الإمام البخاري عَنْ أَبِي المَلِيحِ قَالَ: كُنَّا مَعَ بُرَيْدَةَ فِي غَزْوَةٍ فِي يَوْمٍ ذِي غَيْمٍ، فَقَالَ: بَكِّرُوا بِصَلاَةِ العَصْرِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ" (٢).

٣ – ما أخرجه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ" (٣).

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ **[آل عمران: ١٠٤].**

حيث عطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الدعوة إلى الخير مع أنهما

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الصلاة – باب إثم من فاتته العصر – حديث رقم (٥٥٢) ج١ ص ١١٥. وصحيح مسلم – كتاب المساجد ومواقيت الصلاة – باب التغليظ في تفويت صلاة العصر – حديث رقم (٦٢٦) ج١ ص ٤٣٥.

(٢) صحيح البخاري – كتاب الصلاة – باب من ترك العصر – حديث رقم (٥٥٣) ج١ ص ١١٥.

(٣) صحيح البخاري – كتاب الصلاة – باب فضل صلاة العصر – حديث رقم (٥٥٥) ج١ ص ١١٥، ١١٦.

داخلين فيها، فذكرهما مرتين، مرة ضمن العام، ومرة مخصوصين.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

اختلف العلماء في (مِن) من قوله تعالى (منكم) هل هي للتبعيض أو بيانية؟، فبناء على الأول يكون المراد: بعضكم، وبناء على الثاني يكون المراد: كلكم، والمعنى ليكن منكم أيها المسلمون من يقومون بدعوة الناس إلى جميع صنوف الخير، ويأمروهم بالمعروف، وهو كل ما عُرف حسنه شرعًا وعقلًا، وقيل: المراد طاعة الله تعالى، وينهون عن المنكر، وهو كل ما عُرف قُبحه شرعًا وعقلًا، وقيل: المراد معصية الله تعالى، ثم تُختم الآية ببيان أن أولئك المتصفون بتلك الصفات العالية هم الفائزون بخيْري الدنيا والآخرة [١].

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع [٢]:

اختلف المفسرون هل عطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عطف الخاص على العام أولا؟ وذلك بناء على اختلافهم في معنى الخير في هذه الآية على أقوال:

الأول: أن المراد بالدعاء إلى الخير الدعاء إلى الإسلام، وبث دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الخير اسم يجمع خصال الإسلام، ويدل على ذلك ما أخرجه الإمامان البخاري ومسلم عن حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ رضي الله عنه قالُ: "كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ

(١) يُنظر تفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير) للإمام جلال الدين الجوزي ج١ صـ ٣١٢، وتفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) للإمام أبي عبد الله فخر الدين الرازي ج٨ صـ ٣١٤، ٣١٥، وتفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) للشيخ/ محمد رشيد رضا ج٤ صـ ٢٣.

(٢) يُنظر تفسير القاسمي (محاسن التأويل) للإمام محمد جمال الدين القاسمي ج٢ صـ ٣٧٤، وتفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) للإمام أبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري ج١ صـ ٣٩٨، وتفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للإمام محمد الطاهر بن عاشور ج٤ صـ ٤٠، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج٥ صـ ٥٠.

يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» ..... الحديث (١)؛ وبناء عليه يكون العطف هنا على أصله من عطف المتباينين.

الثاني: أن الدعاء إلى الخير هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ الخير المدعوّ إليه إما فعل مأمور، أو ترك منهيّ، فيكون من باب عطف المترادفين، ويكون الغرض منه ذكر الدعاء إلى الخير عامًّا ثم مفصّلًا، وفيه مالا يخفى من العناية به والاهتمام بشأنه.

الثالث: أن الدعاء إلى الخير أعمّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيكون ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من باب ذكر الخاص بعد العام اهتمامًا وعناية به وبيانًا لفضله؛ فهو من أسباب خيرية هذه الأمة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقد ورد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان فضلهما في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يقصر المقام عن ذكرها.

والذي أميل إليه أن الدعوة إلى الخير تشمل الدعوة إلى الإسلام والدعوة إلى جميع صنوف الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبناء عليه يكون ذلك من ذكر الخاص بعد العام والغرض منه ما ذُكر سابقًا، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) صحيح البخاري – كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام – حديث رقم (٣٦٠٦) ج٤ صـ ١٩٩.

وصحيح مسلم – كتاب الإمارة – باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر – حديث رقم (١٨٤٧) ج٣ صـ ١٤٧٥.

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١].

حيث إن الصلاة داخلة ضمن ذكر الله تعالى، فذكرها مرتين مرة ضمن العام ومرة مخصوصة.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

جاءت هذه الآية بعد آية تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠]، ثم بين هاهنا الحكمة من تحريم الخمر والميسر، وهي أن الشيطان لا يريد – بتزيينه الخمر والميسر – إلا أن يقطع ما بينكم من صلات المودة، ويجعل مكانها العداوة والبغضاء، بسبب ما تثيره الخمرُ والميسر من أَسباب القطيعة، ويصرفكم عن ذكر الله الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم، وعن الصلاة التي هي عماد الدين، وفي أدائها تزكية لنفوسكم، وتطهير لقلوبكم؛ لأن السكران لا يذكر الله، ولا يميز أوقات الصلاة، ولا يقيم أركانها؛ ولأن المقامر يشغله اللعب والاستغراق فيه عن ذكر الله وعن الصلاة، ثم ختم الآية بما يفيد الوعيد على عدم الامتثال فقال:{فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ}، وهذا أمر بالانتهاء جاء بأسلوب الاستفهام، أي: فانتهوا عن تلك المفاسد، حتى لا يحل بكم عقابي [١].

---

(١) يُنظر تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ج١٠ ص ٥٦٥، ٥٦٦، وتفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي ج١ ص ٤٧٣، ٤٧٤، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٣ ص ١١٥٦.

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع ([1]):

السر في ذلك يرجع إلى عدة أمور:

١ – بيان أهميتها، وتعظيمها، وبيان شرفها، ومنزلتها عند الله تعالى.

٢ – أنها تورث اللذة الروحية، بينما شرب الخمر يورث اللذة الجسمانية.

٣ – الإشعار بأن الصادَّ عنها كالصادِّ عن الإيمان؛ فهي ركن من أركان الإسلام، وعماد الدين والفارق بينه وبين الكفر، ويدل على ذلك ما أخرجه الإمامان البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ" ([2])، وما أخرجه الإمام الترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ ..... الحديث، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ"؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ" ([3]).

---

(١) يُنظر تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ج٢ ص ١٤٢، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي ج٣ ص ٧٦، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج٨ ص ٥٦، والأساس في التفسير لسعيد حوى ج٣ ص ١٥٠٢.

(٢) صحيح البخاري – كتاب الإيمان – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بُني الإسلام على خمس – حديث رقم (٨) ج١ ص ١١.
وصحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بُني الإسلام على خمس – حديث رقم (٢٠) ج١ ص ٤٥.

(٣) سنن الترمذي – كتاب أبواب الإيمان – باب ما جاء في حرمة الصلاة – حديث رقم (٢٦١٦) ج٥ =

وما أخرجه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ" (١).

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٢ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٣ ﴾ [الأنعام: ١٢ – ١٣].

حيث إن ما سكن في الليل والنهار داخل في ما في السماوات والأرض، فذُكر مرتين مرة ضمن العام، ومرة مخصوصًا.

المعنى الإجمالي للآيتين الكريمتين:

يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسأل قومه الجاحدين لرسالته المعرضين عن دعوته

لمن هذه المخلوقات علويّها وسفليّها؟ وقد كانت العرب تؤمن بأن الله خالق السموات والأرض وأن كل ما فيهما ملك وعبيد له، كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ [لقمان: ٢٥]، [الزمر: ٢٨]، والمقصود من السؤال التبكيت والتوبيخ، ثم يقرر الجواب نيابة عنهم أو يُلجئهم إلى الإقرار بأن الكل له سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ﴾، ثم يبين أن الله تعالى الذي تقرون معى بأنه مالك

=

ص ١١ وما بعدها، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(١) صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة – حديث رقم (٨٢) ج١ ص ٨٨.

السموات والأرض قد أوجب على ذاته العلية الرحمة بخلقه، ويدل على ذلك ما أخرجه الإمامان البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي" (١)؛ فقد أفاض عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، ومن مقتضى هذه الرحمة أن يجمعهم إلى يوم القيامة، ذلك اليوم الذي لا شك فى مجيئه لوضوح أدلته وسطوع براهينه، للحساب والجزاء على الأعمال، والرحمة والفضل أعم من مقتضى العدل مصداقًا لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وتُختم الآية ببيان أن الذين لايؤمنون هم الذين خسروا أنفسهم؛ لأنهم حرموها استعمال نعمتى العقل والعلم، ثم تأتي الآية الثانية لتبين أن لله ما سكن فى الليل والنهار، وتُختم الآية ببيان أنه المحيط سمعه بكل ما من شأنه أن يُسمع مهما يكن خفيًا عن غيره، فهو يسمع دبيب النملة فى الليلة الظلماء، والمحيط علمه بكل شيء مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر: ١٩] (٢).

---

(١) صحيح البخاري – كتاب بدء الخلق – باب ما جاء في قول الله تعالى {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: ٢٧] – حديث رقم (٣١٩٤) ج٤ ص ١١٦.
وصحيح مسلم – كتاب التوبة – باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه – حديث رقم (٢٧٥١) ج٤ ص ٢١٠٧.

(٢) يُنظر تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ج٣ ص ١٣٠ وما بعدها، وتفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ج٣ ص ٢١٧ وما بعدها، وتفسير ابن جُزي (التسهيل لعلوم التنزيل) للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جُزي الكلبي ج ١ ص ٢٥٥، ٢٥٦، وتفسير المراغي للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي ج٧ ص ١٨٥ وما بعدها.

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع [١]:

اختلف المفسرون في معنى السكون في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [الأنعام: ١٣]، فمنهم من يرى أنها من (السكنى) بمعنى (الحلول) كقوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، والمعنى: له تعالى كل ما حصل في الليل والنهار، مما طلعت عليه الشمس أو غربت، وبناء عليه فالآية ليست من باب ذكر الخاص بعد العام، ومنهم من يرى أنها من (السكون) ضد الحركة، ويكون في الآية اكتفاء؛ حيث ذكر السكون اكتفاء عن ذكر الحركة مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي تقيكم الحر والبرد، والتقدير (وله ما سكن وتحرك في الليل والنهار)، ومنهم من يرى أن الآية من باب ذكر الخاص بعد العام؛ حيث ذكر أن له ما سكن في الليل والنهار، مع اندراجه في ما في السماوات والأرض؛ وذلك تنبيها إلى تصرفه تعالى بهذه الخفايا ولا سيما إذا جنّ الليل وهدأ الخلق، ولتقرير عموم الملك لله تعالى بأن ملكه شمل الظاهرات والخفيات، ففي هذا استدعاء ليوجهوا النظر العقلي في الموجودات الخفية وما في إخفائها من دلالة على سعة القدرة وتصرفات الحكمة الإلهية.

وأرى – والله تعالى أعلم – أنه سواء أكان المراد بالسكون في هذه الآية الحلول أو ضد الحركة، وسواء أكانت من باب الاكتفاء، أم من باب ذكر العام بعد الخاص، أم لا، فإنها على كل حال تدل مع الآية السابقة لها على أن الله تعالى مالك للمكان

---

(١) يُنظر تفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) للإمام أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي ج١٢ ص ٤٩٠، ٤٩١، وتفسير القاسمي (محاسن التأويل) جمال الدين محمد القاسمي ج٤ ص ٣٢٤، وتفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للإمام محمد الطاهر بن عاشور ج٧ ص ١٥٥، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج٨ ٢٣٢.

والمكانيات، وللزمان والزمانيات، وهما ظرفان للمحدَثات وبدأ بذكر المكان والمكانيات، ثم ذكر عقيبه الزمان والزمانيات؛ وذلك لأن المكان والمكانيات أقرب إلى العقول والأفكار من الزمان والزمانيات، والتعليم الكامل هو الذي يُبدأ فيه بالأظهر فالأظهر مترقيًا إلى الأخفى فالأخفى، وهذا من سر نظم الآية مع ما قبلها (١).

(١) يُنظر تفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) للإمام أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي ج١٢ ص ٤٩٠، ٤٩١، وتفسير القاسمي (محاسن التأويل) جمال الدين محمد القاسمي ج٤ ص ٣٢٤.

المبحث الثاني
أمثلة لبعض مواضع ذكر الخاص بعد العام
في الربع الثاني من القرآن الكريم ،وبيان السر فيها.

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩١ – ٩٢].

حيث إن (الذين إذا أتوك لتحملهم قلت: لا أجد ما أحملكم عليه) داخلين ضمن (الذين لا يجدون ما يُنفقون)، فذُكروا مرتين مرة ضمن العام ومرة مخصوصين.

سبب نزول الآيتين الكريمتين:

أخرج الإمام ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أكتب براءة، فإني لواضع القلم على أُذني إذ أُمرنا بالقتال، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ما يترل عليه، إذ جاءه أعمى فقال: كيف بي يا رسول الله وأنا أعمي؟، فترلت: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ... الآية ﴾ "، وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءت بعدُ عصابة من أصحابه، فيهم عبد الله بن معقل المزني، فقال: يا رسول الله احملنا، فقال: والله لا أجد ما أحملكم عليه، فولَّوا ولهم بكاء، وعزَّ عليهم أن يُحبسوا عن الجهاد، ولا يجدون نفقة ولا محملًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ الآية" (١).

---

(١) لباب النقول في أسباب الترول للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ج١ ص ١٠٩.

المعنى الإجمالي للآيتين الكريمتين:

بعد أن بين القرآن الكريم أحوال الذين اعتذروا كذبًا، والذين لم يعتذروا من منافقي الأعراب جاءت هاتان الآيتان؛ لبيان حال الذين أعفاهم الله من وجوب الجهاد؛ لقيام أعذارهم، وهم: الضعفاء كالشيوخ والنساء والصبيان، والذين طرأ عليهم المرض أو بهم مرض مُلازم كالعمى والعرج، والذين لا يجدون ما ينفقونه في شراء أُهبة السفر وعُدَّة الجهاد، فأخبر سبحانه وتعالى أنه ليس على هؤلاء جميعا إثم ولا عتاب في التخلف إذا أخلصوا النصح لله ورسوله، بصدق الإيمان واتباع شريعة الإسلام، وقاموا بما يستطيعون من قول وفعل يعود بصلاح الحال على المجاهدين، وبهذا يكونون قد أحسنوا في جميع أعمالهم وأقوالهم حسب طاقتهم، فليس عليهم سبيل إلى عقاب أو عتاب؛ لدخولهم في عداد المحسنين، وتُختم الآية ببيان أن الله تعالى عظيم المغفرة واسع الرحمة، يغفر للمسيء التائب وتَسعُه رحمته إن شاء فكيف بالمحسنين، ثم تأتي الآية الثانية لتبين أنه لا حرج كذلك ولا إثم في التخلف عن الجهاد على المؤمنين الذين إذا ما جاءُوك يطلبون منك أن تحملهم على ظهور الخيل والإبل والدواب، أو تعينهم بما يمكنهم من الغزو معك وليس عندك ما يحقق رغبتهم، فقلت لهم تطييبًا لقلوبهم واعتذارًا لهم: لا أجد من الدواب ما أحملكم عليه، وعندما قلت ذلك انصرفوا وأعينهم تسيل دمعًا غزيرًا لحزنهم الشديد؛ بسبب أنهم لا يجدون من المال ما ينفقونه في شراء سلاح الحرب وعُدَّة القتال وأُهبة الجهاد ومراكبه (١).

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع:

اختلف المفسرون في كون هذا الموضع من باب ذكر الخاص بعد العام أم لا على

(١) يُنظر التفسير الوسيط (الوسيط في تفسير القرآن المجيد) للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ج٢ ص ٥١٧، ٥١٨، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ج٨ ص ٢٢٦ وما بعدها، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ ص ١٧٤٧، ١٧٤٨.

قولين (١):

الأول: أنه من باب ذكر الخاص بعد العام؛ لأنهم مندرجون ضمن الذين لا يجدون ما ينفقون، والسر في عطفهم عليهم الاعتناء بشأنهم وجعلهم كأنهم قِسم مستقل، ونفي الحرج عنهم، وأنهم بالغوا في تحصيل ما يخرجون به إلى الجهاد حتى أفضى بهم الحال إلى المسألة، والحاجة لبذل ماء وجوههم في طلب ما يحملهم إلى الجهاد، والاستعانة به حتى يجاهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يفوتهم أجر الجهاد.

الثاني: أنه ليس من باب ذكر الخاص بعد العام؛ حيث إنهم لا يندرجون ضمن الذين لا يجدون ما ينفقون، بأن يكون هؤلاء هم الذين وجدوا ما ينفقون، إلا أنهم لم يجدوا المركوب، وتكون النفقة عبارة عن الزاد لا عبارة عما يحتاج إليه المجاهد من زاد ومركوب وسلاح وغير ذلك مما يحتاج إليه.

ومن رجح القول الأول من المفسرين الشيخ/ محمد الأمين الهرري (٢)، والشيخ/ أحمد مصطفى المراغي (٣)، والأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي (٤).

ومن رجح القول الثاني من المفسرين الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٥).

وأرى – والله تعالى أعلم – أن في الآية تنصيص على هؤلاء النفر الذين جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون منه ما يركبونه ليخرجوا معه للجهاد، ولَمَّالم يجدوا تولوا وهم يزرفون الدموع لعدم قدرتهم على الخروج للجهاد، وأنه سواء أكانت الآية

---

(١) يُنظر تفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير) للإمام أبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي ج٥ ص ٤٨٣.

(٢) يُنظر تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج١١ ص ٤٠٢.

(٣) يُنظر تفسير المراغي ج١٠ ص ١٨٣.

(٤) يُنظر التفسير الوسيط ج٦ ص ٣٨٠.

(٥) يُنظر تفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) ج١٦ ص ١٢٢.

من باب ذكر الخاص بعد العام أم لا فإن الغرض من التنصيص عليهم تَشْريف ما بعده تَشْريف، ونفي للحرج عنهم، بيان أنهم استنفذوا وسعهم للخروج للجهاد، حتى لا يفوتهم أجر الجهاد، فاستحقوا أن يُذكروا في آية مستقلة.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴿٧٣﴾﴾ [يوسف: ٧٣].

حيث نَفُوا عن أنفسهم الإفساد في الأرض والسرقة مع أنَّ السرقة داخلة ضمن الإفساد في الأرض، فذُكرت مرتين، مرة ضمن العام، ومرة مخصوصة.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

تحدثت الآيات قبلها عن أخوة يوسف عليه السلام لما دخلوا عليه ومعهم بنيامين أخوه الشقيق، فأكرمهم وآواه إليه، ولما خلا به قال له مؤنسًا وكاشفًا عن سره الخطير، إنِّي يا بنيامين أنا يوسف أخوك، ثم بعد أن جعل السقاية في رحل بنيامين وركب إخوة يوسف دوابهم، نادى منادٍ فيهم: يا أصحاب العير إنكم لسارقون، ولم يُعيِّن لهم ما سرقوه في ندائه ليستدعى كامل انتباههم، فقال إخوة يوسف وقد أقبلوا عليهم: ماذا ضاع منكم حتى اتهمتونا بسرقة؟ فأجابوهم: نفقد سقاية الملك الثمينة التي يشرب بها، وسيكون لمن جاء به من تلقاء نفسه قبل التفتيش حِمل بَعير من الطعام مكافأة له على إظهاره، وأكَّد المنادى تحقيق هذا الوعد بقوله: وأنا بتحقيقه ضمين وكفيل، فرد عليهم إخوة يوسف قائلين: تالله وهي بمعنى والله، ويُقسَم بهذا القسم عند التعجب، أي: وحق الله لقد عرفتم من استقامتنا في المعاملة، وما نحن عليه من التدين والتَّصَوُّن، أَننا ما جئنا لكي نفسد في الأرض بسرقة أو غيرها، بل جئنا للحصول على الطعام [1].

---

(١) يُنظر التفسير الوسيط (الوسيط في تفسير القرآن المجيد) للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ج٢ صـ ٦٢٣، ٦٢٤، وتفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للإمام نظام الدين الحسن بن =

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع:

اختلف المفسرون في معنى الإفساد في الأرض الذي نفاه إخوة يوسف على قولين (١):

الأول: أنه عام يشمل جميع صنوف الإفساد في الأرض، ومن ضمنها السرقة، فيكون عطف السرقة عليه من باب ذكر الخاص بعد العام.

الثاني: أنه لفظ عام أُريد به الخصوص وهو السرقة، فيكون من باب عطف الشيء على نفسه.

وأرى – والله تعالى أعلم – أن قولهم ذلك قد جاء للرد على رميهم بالسرقة، ولذلك جاء مؤكدًا بالقسم أول الآية (تالله) وبما هو في معنى القسم (لقد علمتم)، وبنسبة العلم لمن رموهم بالسرقة (علمتم) أنهم غير مفسدين في الأرض ولا سارقين، وقد قال المفسرون بأن ذلك لعدة أمور (٢):

١ – أنهم كانوا قد عرفوهم بالصلاح والعفاف، وذلك في المرَّتين اللتين قدموا

=

محمد النيسابوري ج٤ صـ ١٠٩، ١١٠، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٥ صـ ٣٥٨ وما بعدها.

(١) يُنظر تفسير الماوردي (النكت والعيون) أبي الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي ج٣ صـ ٦٣، وتفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) للإمام علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن ج٢ صـ ٥٤٤، وتفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للإمام محمد الطاهر بن عاشور ج١٣ صـ ٢٩.

(٢) يُنظر تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ج٤ صـ ٢٦١، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ج٣ صـ ١٧١، وتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ج٣ صـ ٢٥٦، وتفسير الشوكاني (فتح القدير) للإمام محمد بن علي الشوكاني ج٣ صـ ٥١.

فيهما على الملك.

٢ – أنهم في طريقهم لم يؤذوا أحدًا.

٣ – أنهم كانوا يجعلون الأكمة على أفواه دوابهم؛ لئلا تأكل من زرع الناس.

٤ – أنهم كانوا لا يأكلون طعامًا إلا دفعوا ثمنه.

٥ – أنهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رِحالهم في المرة الأولى.

وبناءً عليه أستطيع القول إنه سواء أكان هذا أم ذاك فإن قولهم هذا الذي حكاه الله تعالى عنهم قد جاء مؤكَّدا بعدة مؤكِّدات؛ لنفي السرقة عنهم، فإذا كان الإفساد عامًا فالآية من ذكر الخاص بعد العام، ويكون الغرض منه نفي عموم الإفساد ومن باب أولى السرقة، فإن من لم يكن مفسدًا في الأرض لم يكن سارقًا من باب أولى، ويكون نفي السرقة خاصة لأنها التهمة التي رُموا بها، وإذا كان المراد بالإفساد السرقة فقد نفوها عن نفسهم مرتين، ويكون تسميتهم لها أولًا بالإفساد في الأرض لأنها من أعظم أنواع الإفساد، وإن كنت أميل إلى الأول.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل: ٤٩].

حيث ذَكر الملائكة، وهم يندرجون ضمن ما في السماوات، فذُكروا مرتين مرة ضمن العام ومرة مخصوصين.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة السجود القسري ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النحل: ٤٨]، ذكر بعده هنا سجودًا آخر بعضه اختيار وفي بعضه شبه اختيار، فأخبر

أن ما في السماوات وما في الأرض يسجدون لله تعالى، وعبَّر بما التي لغير العاقل؛ لغلبة ما لا يعقل على من يعقل في العَدد، وأراد بـــ (من دابة) كل حيوان يدب، وذلك خاص بما في الأرض، أو بما في السماوات وما في الأرض، وقيل: السجود: الطاعة، وقيل: سجود الأشياء تذللها وتسخرها لما أريدت له وسخرت له، وقيل: سجود الجمادات وما لا يعقل: ظهور أثر الصنع فيه، ثم خص الملائكة بالذكر وأخبر أنهم طائعون لله تعالى لا يستكبرون (١).

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع (٢):

السر في ذلك يرجع إلى عدة أمور:

١ – تشريفهم ورفع شأنهم وبيان منزلتهم.

٢ – أنهم طائعون لله تعالى يخافونه ويفعلون ما يأمرهم به ولا يعصونه أبدًا، مصداقًا لقوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ **[النحل: ٥٠]، وقوله تعالى:** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ **[التحريم: ٦].**

---

(١) يُنظر تفسير البغوي (معالم التتريل في تفسير القرآن) للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ج٥ ص ٢٢، ٢٣، وتفسير البيضاوي (أنوار التتريل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ج٣ ص ٢٢٩، وتفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للإمام محمد الطاهر بن عاشور ج١٤ ص ١٧٠، ١٧١.

(٢) يُنظر تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ج٣ ص ٣٩٩، وتفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التتريل) للإمام أبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري ج٢ ص ٦٠٩، ٦١٠، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج١٥ ص ٢٤٧.

٣ – التعريض بالمشركين؛ حيث لم يؤمنوا بالله عز وجل ولم يستسلموا وينقادوا له سبحانه، فاتبعوا أهواءهم وعَبدوا غير الله تعالى، مع مخالفتهم لما في السماوات والأرض، وخصوصًا الملائكة.

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

حيث ذكر إيتاء ذي القربى عطفًا على الأمر بالعدل والإحسان مع أنه داخل فيهما، فذُكر مرتين مرة ضمن العام ومرة مخصوصًا.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

العدل: هو أن يلتزم الإنسان جانب الحق والقسط في كل أقواله وأعماله، والإحسان: يشمل إحسان الشيء في ذاته، كما يشمل إحسان المسلم إلى غيره، فالإحسان أوسع مدلولًا من العدل؛ لأنه إذا كان العدل أن تعطى كل ذي حق حقه، بدون إفراط أو تفريط، فإن الإحسان يزيد عليه العفو عمن أساء إليك، والصلة لمن قطعك، والعطاء لمن حرمك، والمعنى: إن الله تعالى يأمركم أيها المسلمون أمرًا دائمًا وواجبًا أن تلتزموا الحق والإنصاف في كل أقوالكم وأفعالكم وأحكامكم، وأن تلتزموا التسامح والعفو والمراقبة لله تعالى في كل أحوالكم، كما يأمركم أن تقدموا لأقاربكم على سبيل المعاونة والمساعدة، ما تستطيعون تقديمه لهم من خير وبِر؛ لأن هذه الفضائل متى سرت بينكم نلتم السعادة في دينكم ودنياكم، ثم نهى الحق سبحانه وتعالى عن الفحشاء: وهي كل ما اشتد قُبحه من قول أو فعل، وعن المُنكر: وهو كل ما أنكره الشرع بالنهى عنه، وعن البغي: وهو تجاوز الحد في كل شي، والمعنى: ينهاكم الحق تعالى عن كل قبيح وعن كل منكر، وعن كل تجاوز لما شرعه؛ وذلك لأن هذه الرذائل ما شاعت في أمة إلا وكانت عاقبتها خسرًا، وأمرها فرطًا، ثم ختم سبحانه وتعالى الآية

الكريمة ببيان أنه ينبهكم أكمل تنبيه وأحكمه إلى ما يصلحكم لعلكم بذلك تحسنون التذكر لما ينفعكم، وتعملون بمقتضى ما علمكم سبحانه (١).

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع (٢):

السر في ذلك يرجع إلى عدة أمور:

١ – الاهتمام بأمر صلة الرحم، سواء أكان ذلك قولًا أم فعلًا، والتنويه بشأنها.

٢ – تعظيم قدر صلة الرحم، وإظهار جلالها، وإعطاؤها حق قدرها.

٣ – المبالغة في بيان منزلتها عند الله عز وجل.

٤ – بيان مزيد أجرها عند الله عز وجل.

وقد ورد الأمر بالإحسان إلى ذي القربى في آيات عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ

(١) يُنظر تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ج١٧ ص ٢٧٩ وما بعدها، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ج١٠ ص ١٦٦ وما بعدها، والتفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٨ ص ٢٢٠، ٢٢١.

(٢) يُنظر تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ج٣ ص ٢٣٨، وتفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للإمام نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ج٤ ص ٣٠٠، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج١٥ ص ٣٤٦، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٥ ص ٦٧٠، والتفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٨ ص ٢٢٠.



ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الروم: ٣٨].

وكذا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، منها:

١ – ما أخرجه الحاكم عن بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: أُمَّكَ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمَّكَ قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَبَاكَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ" (١).

٢ – ما أخرجه الحاكم عن أبي الرَّدَّادِ اللَّيْثِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ يَذْكُرُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنِ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ" (٢).

٣ – ما أخرجه الإمام ابن حبان عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَانِ: صدقة وصلة" (٣).

---

(١) المستدرك على الصحيحين – كتاب البر والصلة – حديث رقم (٧٢٤٢) ج٤ صـ ١٦٦، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه على شرطهما.

قال الحافظ الذهبي: صحيح.

(٢) المستدرك على الصحيحين – كتاب البر والصلة – حديث رقم (٧٢٧١) ج٤ صـ ١٧٤، وقال بعد أن ذكر عدة روايات له: وهذه الأحاديث كلها صحيحة وإنما استقصيت في أسانيدها بذكر الصحابة رضي الله عنهم لئلا يتوهم متوهم أن الشيخين رضي الله عنهما لم يهملا الأحاديث الصحيحة

قال الحافظ الذهبي: صحيح

(٣) صحيح ابن حبان – كتاب الزكاة – باب صدقة التطوع – حديث رقم (٣٣٤٤) ج٨ صـ ١٣٣.

قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

المبحث الثالث
أمثلة لبعض مواضع ذكر الخاص بعد العام
في الربع الثالث من القرآن الكريم ،وبيان السر فيها

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٩].

حيث ذَكر أن من صفات المتقين أنهم يخشون ربهم بالغيب، وعطف عليه أنهم من الساعة مشفقون، مع أنه داخل ضمن الخشية بالغيب، فذُكر مرتين مرة ضمن العام، ومرة مخصوصًا.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

ذكر الله تعالى في الآية السابقة أنه أعطى موسى وهارون – عليهما السلام – الفرقان والضياء والذكر، والمقصود: التوراة، أو الْفُرْقانَ: ما رزقه الله تعالى من نصر وظهور حُجة وغير ذلك مما فرَّق به بين أمره وأمر فرعون، والضياء: التوراة، والذكر: التذكرة، وختم الآية ببيان أن ذلك للمتقين؛ فهم المنتفعون به دون سواهم، ثم بين في هذه الآية صفاتهم، وهي أنهم يخشون ربهم في غيبهم وخلواتهم وحيث لا يطَّلع عليهم أحد، أو أنهم يخشون الله تعالى على أن أمره تعالى غائب، وإنما استدلوا بدلائل لا بمشاهدة، أو أنهم يخشون الله ربهم بما أعلمهم به مما غاب عنهم من أمر آخرتهم ودنياهم، وبين أنهم من عذاب يوم القيامة وسائر أحوالها خائفون وجلون، والإشفاق أشد الخشية (١).

---

(١) يُنظر تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ج٤ ص ٨٥، وتفسير السمرقندي (بحر العلوم) للإمام أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ج٢ ص ٤٢٨، ٤٢٩، وتفسير المراغي للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي ج١٧ ص ٤١.

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع (١):

السر في ذلك يرجع إلى عدة أمور:

١ – العناية بشأنها؛ حيث إنها أعظم المخلوقات.

٢ – التهويل من أمرها، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج: ١ – ٢].

٣ – الرد على من أنكرها واستعجل قيامها؛ مصداقًا لقول الله تعالى قبل ذلك: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ [الأنبياء: ٣٨].

٤ – التنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون، الذين لجُّوا في عُتُوِّهم، وأعرضوا عن ذكر ربهم.

٥ – الثناء على المتقين من أَهل التوراة قبل أن ينسخها الله تعالى بالإِنجيل ثم بالقرآن العظيم، الذي أوجب الله الإِيمان به على اليهود والنصارى وسائر البشر، ولهذا قال سبحانه وتعالى بعد هذه الآية: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنبياء: ٥٠].

---

(١) يُنظر تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود العمادي ج٦ ص ٧١، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج١٨ ص ١٠٦، والتفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٨ ص ٢١٩، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٦ ص ١١٢٥، ١١٢٦.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧].

حيث ذَكر أهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع، مع أن التجارة تشمل البيع والشراء، فذكر البيع مرتين، مرة ضمن العام، ومرة مخصوصًا.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

بين الحق سبحانه وتعالى في الآية السابقة أكثر الأماكن انتفاعًا بنوره، وهي المساجد التي أمر ببنائها، وعلى رأسها المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، وأكثر الأشخاص انتفاعًا بنوره وهم العباد الذين يعبدونه ويقدسونه في تلك المساجد، فهم يسبحونه وينزهونه عن كل نقص، ويتقربون إليه بالصلوات وبالطاعات في تلك المساجد في أول النهار وفي آخره، وفي غير ذلك من الأوقات، ثم ذكر أن من شأنهم ومن صفاتهم، أنهم لا يشغلهم، «تجارة» مهما عظمت، «ولا بيع»، مهما اشتدت حاجتهم إليه «عن ذكر الله» أى: عن تسبيحه وتحميده وتكبيره وتمجيده وطاعته، ولا تشغلهم أيضًا هذه التجارات والبيوع عن «إقام الصلاة» في مواقيتها بخشوع وإخلاص، وعن «إيتاء الزكاة» للمستحقين لها؛ وذلك لأنهم «يخافون يومًا» هائلًا شديدًا هو يوم القيامة الذي تضطرب فيه القلوب والأبصار، فلا تثبت من شدة الهول والفزع (١).

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع (٢):

---

(١) يُنظر التفسير الوسيط للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ج٣ ٣٢١، ٣٢٢، وتفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ج٦ ص ٥٦ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج١٠ ص ١٣٠، ١٣١.

(٢) يُنظر تفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير) للإمام أبي حيان محمد بن يوسف بن حيان ج٨ صـ ٤٩، وتفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) للإمام أبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري ج٣ ص ٢٤٣، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ج٤ ص ١٠٨، ١٠٩، وتفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) للإمام فخر الدين =

اختلف المفسرون في معنى التجارة المذكورة في الآية على ثلاثة أقوال:

الأول: أن المراد بها الشراء؛ لذكر البيع بعدها، فيكون من إطلاق العام (التجارة) وإرادة الخاص (الشراء)، والمعنى أنهم لا يُلهيهم شراء ولا بيع عن ذكر الله، وبناء عليه فالآية ليست من باب ذكر الخاص بعد العام.

الثاني: أن المراد بالتجارة تجارة الجلب، يُقال: تجر فلان في كذا إذا جلبه، وبالبيع البيع بالأسواق، وبناء عليه فالآية ليست من باب ذكر الخاص بعد العام.

الثالث: أن المراد به عموم التجارة التي تشمل البيع والشراء، وبناء عليه يكون عطف البيع عليه من باب ذكر الخاص بعد العام، وذلك يرجع إلى عدة أمور:

١ - أنه في الإلهاء أدخل لأن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة وهي أسمى ما يرجو من تجارته ألْهته ما لا يُلْهيه شيء آخر.

٢ - أنه الأهم من قسمي التجارة فإن الربح يتحقق بالبيع ويُتوقع بالشراء.

٣ - أن البيع يقتضي تبديل العَرَض بالنقد، والشراء يقتضي تبديل النقد بالعَرَض، والرغبة في تحصيل النقد أكثر من تحصيل العرض.

وأرى - والله تعالى أعلم - أن القول الثالث هو الأولى بالصواب؛ لأنه المتبادر للذهن عن إطلاق لفظ التجارة، وبناء عليه فإن الآية من باب ذكر الخاص بعد العام.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ ﴾ [الأحزاب: ٧].

=

محمد بن عمر الرازي ج٢٤ ص ٣٩٧، وتفسير الشوكاني (فتح القدير) للإمام محمد بن علي الشوكاني ج٤ ص ٤١، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٦ ص ١٤٢٩.

حيث ذَكر الأنبياء: محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى – عليهم الصلاة والسلام – مع أنهم داخلون ضمن الأنبياء المذكورين أولًا، فذُكروا مرتين، مرة ضمن العام ومرة مخصوصين.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

بين الحق سبحانه وتعالى فيما قبلها من آيات أحكامًا شرعها لعباده، وكان فيها أشياء مما كان فى الجاهلية، وأشياء مما كان فى الإسلام ثم أُبطلت ونُسخت، ثم أتبع ذلك بذكر ما فيه حث على التبليغ، فذكر أخذ العهد على النبيين أن يبلغوا رسالات ربهم، ولا سيما أولو العزم منهم، وهم الخمسة المذكورون فى الآية، أى: واذكر– أيها الرسول الكريم – وقت أن أخذنا من جميع النبيين العهد الوثيق، على أن يُبَلغوا ما أوحيناه إليهم من هدايات للناس، وعلى أن يأمروهم بإخلاص العبادة لنا، وعلى أن يُصدِّق بعضهم بعضًا في أصول الشرائع ومكارم الأخلاق، كما أخذنا هذا العهد الوثيق منك، ومن أنبيائنا نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، ثم عطف على أخذنا من النبيين ميثاقهم قوله: (وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا)؛ لإفادة تفخيم شأن هذا الميثاق المأخوذ على الأنبياء، وبيان أنه عهد في أقصى درجات الأهمية والشدة، أى: وأخذنا من هؤلاء الأنبياء عهدًا عظيم الشأن، بالغ الخطورة، رفيع المقدار (١).

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع (٢):

---

(١) يُنظر تفسير السمرقندي (بحر العلوم) للإمام أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ج٣ ص ٤٥، ٤٦، وتفسير القاسمي (محاسن التأويل) للإمام محمد جمال الدين القاسمي ج٨ ص ٥٣، وتفسير المراغي للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي ج٢١ ص ١٣٢، ١٣٣، والتفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج١١ ص ١٧٨، ١٧٩.

(٢) يُنظر تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ج٦ ص ٣٢٠، وتفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي ج٢٥ ص ١٥٩، وتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام أبي محمد عبد الحق بن =

السر في ذلك يرجع إلى عدة أمور:

١ – مزيد التشريف والتعظيم لهم، والتنويه بشأنهم، وبيان مترلتهم وفضلهم.

٢ – أنهم أُلوا العزم من الرسل.

٣ – أنهم تحمَّلوا في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى أكثر مما تحمل غيرهم.

٤ – أنهم أصحاب الكتب والشرائع، ومن مشاهير أرباب الشرائع.

٥ – لأن موسى وعيسى – عليهما السلام – كان لهما في زمان نبينا قوم وأُمَّة فذكرهما احتجاجًا على قومهما، وإبراهيم – عليه السلام – كان العرب يقولون بفضله وكانوا يتبعونه في بعض الشعائر، ونوحًا – عليه السلام – كان أصلًا ثانيا للناس فقد وُجد الخلق منه بعد الطوفان.

وقد ذُكر المخصوصون مرتبون حسب زمانهم، فذُكر نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى، ومع أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم آخرهم زمانًا إلا أنه ذُكر أولًا، وذُكر قبله حرف (من) بينما أُعيدت (من) معهم جميعًا وليس لكل فرد منهم، فكان قد خُص باهتمامين: اهتمام التقديم، واهتمام إظهار اقتران الابتداء بضمير بخصوصه غير مندمج في بقيتهم عليهم السلام؛ وذلك لعدة أمور:

١ – أنه هو المخاطب من بينهم، والمترل عليه هذا المتلو.

٢ – عموم نبوته وبقائها إلى قيام الساعة.

=

غالب بن عطية الأندلسي ج٤ ص ٣٧١، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود العمادي ج٧ ص ٩١، ٩٢، وتفسير البيضاوي (أنوار التتريل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ج٤ ص ٢٢٥، ٢٢٦، وتفسير الشوكاني (فتح القدير) للإمام محمد بن علي الشوكاني ج٤ ص ٣٠٤، وتفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للإمام محمد الطاهر بن محمد بن عاشور ج٢١ ص ٢٧٥.

٣ – بيان مزيد فضله صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء تعظيمًا له وتكريمًا لشأنه؛ فهو سيد ولد آدم، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شَافِع وأول مُشَفَّع، ويدل على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ" (١).

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٠].

حيث ذكر الذين في قلوبهم مرض، والمرجفون في المدينة، مع دخولهم ضمن المنافقين، فذُكرا مرتين، مرة ضمن العام، ومرة مخصوصين.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

بعد أن أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أَن يقول لأَزواجه وبناته ونساء المؤْمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن؛ حتى يعرف الفُسَّاق أَنهن حرائر فلا يتعرضوا لهن بسوء، هدَّد المنافقين الذين يُخفون الكفر ويظهرون الإيمان عامة، وهدد الذين في قلوبهم ريبة من شهوة الزنا وحب الفجور، وأهل الإرجاف في المدينة بالكذب والباطل الذين كانوا يذيعون الأَخبار الكاذبة خاصة، بأَنهم إن لم يرجعوا عن إثارة الفتن بين المسلمين لَيُحَرضَنَّ اللهُ رسوله عليهم ويغرينَّه بهم حتى يضطرهم إلى الجلاء عن المدينة ويلجئهم إلى الخروج منها لإفسادهم؛ حتى لا يجتمع هؤلاءِ بكفرهم وضلالهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤْمنين في بلد واحد إلَّا زمانًا قليلًا يجمعون فيه متاعهم وشملهم، وكان هذا هو الجزاء الوفاق لطائفة من الناس لم ترع حرمة الجوار ولم تكن أمينة على من يساكنوهم

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الفضائل – باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق – حديث رقم (٢٢٧٨) ج٤ ص ١٧٨٢.

ويعاشروهم، بل كانوا مصدر إزعاج وقلق (١).

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع (٢):

اختلف المفسرون في الأصناف المذكورة في هذه الآية هل هي مفترقة بعضها من بعض أو داخلة في جملة المنافقين؟ على قولين:

الأول: أن هذه الأوصاف الثلاثة، كل وصف منها لطائفة معينة، فالمنافقون: جمع منافق: وهو الذي يُظهر الإسلام ويخفى الكفر، والذين في قلوبهم مرض: هم قوم ضعاف الإيمان، قليلو الثبات على الحق في قلوبهم ريبة من شهوة الزنا وحب الفجور، والمرجفون في المدينة: هم الذين كانوا ينشرون أخبار السوء عن المؤمنين ويلقون الأكاذيب الضارة بهم ويذيعونها بين الناس؛ وذلك لأن الأصل أن العطف يقتضي التغاير.

الثاني: أن هذه الأوصاف لطائفة واحدة هي طائفة المنافقين، وأن العطف لتغاير الصفات مع اتحاد الذات، وبناء عليه يكون ذكر الذين في قلوبهم مرض والمرجفين بعد ذكر المنافقين من باب ذكر الخاص بعد العام، والسر في ذلك يرجع إلى عدة أمور:

---

(١) يُنظر تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ج٢٠ ص ٣٢٦ وما بعدها، وتفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) للإمام جار الله محمود بن عمرو الزمخشري ج٣ ص ٥٦١، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٨ ص ٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) يُنظر تفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير) للإمام أبي حيان محمد بن يوسف بن حيان ج٨ ص ٥٠٥، وتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ج٤ ص ٣٩٩، ٤٠٠، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ج١٤ ص ٢٤٦، ٢٤٧، وتفسير ابن جُزيّ (التسهيل لعلوم التنزيل) للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي ج٢ ص ١٥٩، وتفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للإمام محمد الطاهر بن محمد بن عاشور ج٢٢ ص ١٠٨، ١٠٩، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج٢٣ ص ١٦٦، التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج١١ ص ٢٤٧، ٢٤٨.

١ - الزيادة في التقبيح والتشنيع عليهم بذكر أقبح صفاهم وأشنعها.

٢ - تنبيه المسلمين حتى يحتاطوا منهم.

٣ - بيان شدة ضرر هذين الصنفين على المسلمين.

والذي أميل إليه - والله تعالى أعلم - أن القول الأول هو الأولى بالقبول؛ لأن الذين في قلوبهم ريبة من شهوة الزنا وحب الفجور والمرجفين قد يكونون من المنافقين ومن غير المنافين، ولأن الأصل أن العطف يقتضي التغاير.

المبحث الرابع

أمثلة لبعض مواضع ذكر الخاص بعد العام

في الربع الرابع من القرآن الكريم ،وبيان السر فيها.

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ﴾ [محمد: ٢].

حيث خَصَّ سبحانه وتعالى الإيمان بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بالذكر مع اندراجه تحت مطلق الإيمان المذكور قبله، فذُكر مرتين مرة ضمن العام ومرة مخصوصًا.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

بيَّن الحق سبحانه وتعالى في الآية السابقة حال الكفار وجزاءهم، ثم بيَّن هنا حال المؤمنين وجزاءهم، فالذين صدَّقوا بالله، وأطاعوه، واتبعوا أمره ونهيه، وانقادوا لشرع الله ظاهرًا وباطنًا، وعملوا بما يرضيه من صالح الأعمال، وصدَّقوا بالقرآن الذي أُنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فآمنوا أنه حق وأنه كلام الله – والقرآن هو الحق الثابت الذي لا شك فيه أنه من الله – محا عنهم ذنوبهم التي عملوها في الماضي، وغفرها لهم بالإيمان والعمل الصالح، وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا والآخرة، فعصمهم عن المعاصي، وأرشدهم إلى أعمال الخير في الدنيا، وورَّثهم نعيم الجنة في الآخرة، وهذا يشمل المهاجرين والأنصار وغيرهم من المؤمنين الذين يعملون الصالحات (١).

---

(١) يُنظر تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ج٢٢ ص ١٥ وما بعدها، وتفسير الماوردي (النكت والعيون) للإمام أبي الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي ج٥ ص ٢٩، والتفسير المنير للدكتور/ وهبة الزحيلي ج٢٦ ص ٨٠.

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع [1]:

السر في ذلك يرجع إلى أمور:

١ – التنبيه على شرف الإيمان بما نُزِّل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلو مكانته.

٢ – بيان عظم شأن القرآن الكريم وعلو منزلة على ما تقدمه من الكتب.

٣ – أنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا بالإيمان بما نُزِّل على محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ يفيد بعطفه أنه أعظم أركانه، وقد تأكد ذلك بالجملة الاعتراضية في نفس الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾.

٤ – أن القرآن الكريم ناسخ لما تقدمه من الكتب، لا ينسخه شيء، والإسلام دين الله تعالى الذي ارتضاه للبشرية إلى قيام الساعة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن: ٦٨].

حيث ذكر الحق سبحانه وتعالى أن في الجنتين المذكورين فاكهة ثم ذكر بعدها أن

(١) يُنظر تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) للإمام أبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري ج٤ ص ٣١٥، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ج٥ ص ١١٩، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود العمادي ج٨ ص ٩١، وتفسير ابن جُزيّ (التسهيل لعلوم التنزيل) للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جُزيّ الكلبي ج٢ ص ٢٨٠، وتفسير القاسمي (محاسن التأويل) للإمام محمد جمال الدين بن محمد القاسمي ج٨ ص ٤٦٤، وتفسير الشوكاني (فتح القدير) للإمام محمد بن علي الشوكاني ج٥ ص ٣٦، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج٢٧ ص ١٢٨، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٩ ص ٩٤٥، والتفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج١٣ ص ٢١٨.

فيهما نخل ورمان، وهما من الفاكهة، فذُكرا مرتين مرة ضمن العام، ومرة مخصوصين.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

أخبر الحق سبحانه وتعالى قبل هذه الآية أنه أعد جنتين لمن خاف مقام ربه فقال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وذكر أوصافهما، ثم بيَّن أن هناك جنتين أخريين فقال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٢]، وذكر من أوصافهما هذه الآية التي تفيد أن فيهما فاكهة ونخل ورمان (١).

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع (٢):

أكثر العلماء والمفسرين على أن ثمرة النخل وثمرة الرُمَّان من الفاكهة لم يُخالف في ذلك إلا الإمام أبو حنيفة الذي ذهب إلى أن العطف يقتضي المغايرة؛ ولذلك فإن عنده من حلف ألا يأكل فاكهة فأكل رُمَّانًا أو رُطَبًا لم يحنث، وخالفه صاحباه محمد وأبو يوسف، وبناء على رأي الجمهور فإن هذا الموضع من باب ذكر الخاص بعد العام، والسر في ذكره يرجع إلى أمور:

---

(١) يُنظر تفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير) للإمام جمال الدين عبد الله بن علي الجوزي ج٤ ص ٢١٥، وتفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي ج٣ ص ٤١٧، والتفسير الوسيط للدكتور/ وهبة الزحيلي ج٣ ص ٢٥٦٥.

(٢) يُنظر تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) للإمام أبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري ج٤ ص ٤٥٣، وتفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي ج٢٩ ص ٣٨٠، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود العمادي ج٨ ص ١٨٦، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ج٥ ص ١٧٥، وتفسير الشوكاني (فتح القدير) للإمام محمد بن علي الشوكاني ج٥ ص ١٧١، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج٢٨ ص ٣٢٣، ٣٢٤، وتفسير المراغي للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي ج٢٧ ص ١٢٩، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٩ ص ١٢٢٨.

١ – بيان فضلهما، ومزيد حسنهما، وكثرة نفعهما بالنسبة إلى سائر الفواكه.

٢ – كثرهما في أرض العرب.

٣ – وجودهما في الخريف والشتاء.

٤ – أنهما لم يخلصا في الدنيا للتفكه، فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء، والرمان فاكهة ودواء، فكأنهما جنس آخر.

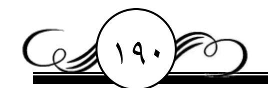
٥ – لأنهما متقابلان فأحدهما حلو والآخر غير حلو، وكذلك أحدهما حار والآخر بارد، وأحدهما فاكهة وغذاء، والآخر فاكهة ودواء، وأحدهما من فواكه البلاد الحارة والآخر من فواكه البلاد الباردة، وأحدهما أشجاره في غاية الطول والآخر أشجاره بالضد وأحدهما ما يُؤكل منه بارز والآخر مالا يُؤكل كامن، فهما كالضدين والإشارة إلى الطرفين تتناول الإشارة إلى ما بينهما، كما قال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرحمن: ١٧].

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح: ٢٣].

حيث حكى قول قوم نوح – عليه السلام – وتأكيدهم على التمسك بآلهتهم وخاصة ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا، فذُكرو مرتين مرة ضمن العام ومرة مخصوصين.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

بين الحق سبحانه وتعالى في الآيتين السابقتين أن نوحًا – عليه السلام – شكا إلى ربه تعالى أن قومه عصوه، واتبعوا رأي سادهم وكبرائهم الذين لم يكفهم الكفر والصد عن سبيل الله، بل مكروا بنبي الله تعالى نوح ومن آمن معه مكرًا عظيمًا، ثم بيَّن هنا بعض



مظاهر مكرهم، وهو أنهم قالوا لأتباعهم: احذروا أن تتركوا عبادة آلهتكم، التي وجدتم على عبادتها آباءكم، واحذروا أيضًا أن تتركوا عبادة هذه الأصنام الخمسة بصفة خاصة، وهي: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكانوا يعبدونها ثم صارت في العرب بعد ذلك، أما «ود» فكانت لقبيلة بنى كلب بدومة الجندل، وأما «سواع» فكانت لهذيل، وأما «يغوث» فكانت لبنى غطيف، وأما «يعوق» فكانت لهمدان، وأما «نسر» فكانت لحمير، وأصلها أسماء رجال صالحين من قوم نوح – عليه السلام – فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، وقيل: كانوا قومًا صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر، فعبدوهم (1).

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع (2):

اختلف المفسرون في هذا الموضع هل هو من باب ذكر الخاص بعد العام أولا؟ على قولين:

---

(١) يُنظر التفسير الوسيط للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ج٤ ص ٣٥٩، وتفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ج٨ ص ٢٤٨، ٢٤٩، والتفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج١٥ ص ١٢١، ١٢٢.

(٢) يُنظر تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التتريل) للإمام أبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري ج٤ ص ٦١٩، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود العمادي ج٩ ص ٤٠، وتفسير البيضاوي (أنوار التتريل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ج٥ ص ٢٥٠، وتفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للإمام محمد الطاهر بن محمد بن عاشور ج٢٩ ص ٢٠٩، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج٣٠ ص ٢٦١، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج١٠ ص ١٦٠٢.

الأول: أنه ليس من باب ذكر الخاص بعد العام بل هو من قبيل التفصيل بعد الإجمال؛ وذلك بناء على أن الأصنام الخمسة المذكورة هي ما كان يعبده قوم نوح – عليه السلام – فقط، والغرض هو التأكيد على التمسك بعبادتها، وعدم تركها، ورفض ما يدعو إليه نوح – عليه السلام – من توحيد الله عز وجل.

الثاني: أنه من باب ذكر الخاص بعد العام؛ وذلك بناء على أن الأصنام الخمسة المذكورة هي بعض ما كان يعبده قوم نوح – عليه السلام – من أصنام، والغرض من تخصيصها بالذكر يرجع إلى أنها كانت أكبر أصنامهم وأعظم ما عندهم، فالتمسك بها تمسك بما دونها من باب أولى.

وأرى – والله تعالى أعلم – أنه سواء أكان هذا أم ذاك فإن الغرض من ذكرها هو أنها أكبر أصنامهم وأعظمها، ولتأكيدهم على التمسك بعبادتها، وعدم تركها، ورفض ما يدعو إليه نوح عليه السلام؛ وذلك جمعًا بين القولين.

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر: ٤].

حيث ذَكر الله عز وجل أن الملائكة تتنزل في ليلة القدر، ومعهم جبريل عليه السلام، فذُكر مرتين، مرة ضمن العام، ومرة مخصوصًا.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

يبين الحق سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة أنه أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ثم أخبر هنا أن الملائكة – عليهم السلام – تنزّل وجبريل – عليه السلام – معهم إلى الأرض، أو إلى السماء الدنيا، أو تتقرب إلى المؤمنين فيها، وذلك بإذن ربهم من كلّ أمر قضاه الله في تلك السنة، من رزق وأجل وغير ذلك (١).

---

(١) يُنظر تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ج٢٤ =

السر في ذكر الخاص بعد العام في هذا الموضع (١):

اختلف المفسرون في المراد بالروح في هذه الآية على أقوال:

الأول: أنه جبريل عليه السلام، وذكره بعد الملائكة من باب ذكر الخاص بعد العام، والسر في ذلك يرجع إلى:

١ – زيادة شرفه وعلو قدره ومترلته وبيان فضله.

٢ – اختصاصه بأمور لا يُشاركه فيها غيره.

٣ – أنه الملك الموكل بترول الوحي على الأنبياء والرسل.

الثاني: أنهم طائفة من الملائكة لا تُرى إلا في تلك الليلة، فإن كانوا هم النازلين فقط في هذه الليلة لم يكن ذكرهم من باب ذكر الخاص بعد العام، وإن كانوا بعضهم كان ذلك من باب ذكر الخاص بعد العام؛ لمزيد شرفهم وعلو قدرهم وبيان فضلهم.

الثالث: أنهم حفظة على الملائكة كالحفظة علينا، فيكون ذلك من باب ذكر الخاص بعد العام؛ لمزيد شرفهم وعلو قدرهم وبيان فضلهم.

الرابع: أن المراد به الرحمة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا

=

ص ٥٣٤، وتفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التتريل) للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي ج٢ ص ٥٠٠، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج١٠ ص ١٩٧٧.

(١) يُنظر التفسير الوسيط للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ج٤ ص ٥٣٧، وتفسير النسفي (مدارك التتريل وحقائق التأويل) للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي ج٣ ص ٦٦٦، وتفسير ابن عجيبة (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) للإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي ج٧ ص ٣٣٢، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج١٠ ص ١٩٧٧، والتفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج١٥ ص ٤٦٤.

ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]، وبناء عليه لا يكون ذلك من باب ذكر الخاص بعد العام.

وأرى – والله تعالى أعلم – أن القول الأول هو الراجح؛ فقد رجحه جمهور المفسرين، فهو الأولى بالقبول، وهو المناسب لسياق السورة التي تتحدث عن نزول القرآن الكريم في ليلة القدر، وجبريل هو الموكل من الله تعالى بتبليغ وحيه إلى أنبيائه ورسله عليهم السلام، وقد سماه الله تعالى روح القدس قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النحل: ١٠٢]، وسماه أيضًا الروح الأمين قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٤].

الخاتمة

بعد أن طُفت في رحاب هذا الموضوع الشيِّق، وقطفت من أزهاره اليانعة، أستطيع أن أخلص إلى النتائج الآتية:

الأولى: أن موضوع ذكر الخاص بعد العام من الأهمية بمكان، وقد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب، ودراسته مما يُظهر مظهرًا من مظاهر إعجاز القرآن الكريم.

الثانية: أن أئمتنا من علماء البلاغة والمفسرين قد عنوا بهذا اللون، وذكروه في مؤلفاتهم وبيَّنوا أسراره.

الثالثة: أن الأسرار البلاغية لهذا اللون تدور حول الاهتمام بالخاص وبيان شرفه وفضله ومنزلته، حتى كأنه من جنس آخر، وهناك أسرار أخرى سواء أكانت تتعلق بسياق الآية والآيات أم لا، وهذا ما حاولت أن أُلقي بعض الضوء عليه من خلال بحثي المتواضع.

الرابعة: أن أغلب المواضع التي تناولتها في بحثي هذا من باب ذكر الخاص بعد العام، وقليل منها مما اختلف فيه العلماء هل هو من قبيل ذكر الخاص بعد العام أو لا؟.

الخامسة: أن استخراج الأسرار من مواضع ذكر الخاص بعد العام يختلف من مفسر إلى آخر، وهذا فضل من الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده.

<u>ولذلك أقترح ما يلي:</u>

أولًا: أن يُعنى الباحثون بمثل هذه الموضوعات البلاغية التي تبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم.

ثانيًا: أن يتم تناول هذا الموضوع تناولًا شاملًا بدراسة تطبيقية تتناول كل مواضعه في القرآن الكريم.

□

المصادر والمراجع

١ – الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٢ – الأساس في التفسير، لسعيد حوّى، نشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤١٤هـ.

٣ – أساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة – المعاني)، لأحمد مطلوب أحمد الناصري الرفاعي، نشر: وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٠م.

٤ – الأصلان في علوم القرآن، للأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم القيعي، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٥ – الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة.

٦ – البرهان في علوم القرآن، للإمام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

٧ – بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعيدي، نشر: مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٨ – البلاغة العربية، للدكتور/ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، نشر: (دار القلم– دمشق)، (الدار الشامية– بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٩ – البيان والتبيين، للإمام أبي عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ، نشر: دار مكتبة الهلال – بيروت، ١٤٢٣هـ.

١٠ – التعريفات، للإمام علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١١ – تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام أبي الفيض محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، نشر: دار الهداية.

١٢ – تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

١٣ – تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

١٤ – تفسير ابن جُزيّ (التسهيل لعلوم التنزيل)، للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن عبد الله، ابن جُزيّ الكلبي، تحقيق: الدكتور/ عبد الله الخالدي، نشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

١٥ – تفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير)، للإمام جمال الدين عبد الرحمن بن علي، ابن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٦ – تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للشيخ/ محمد الأمين بن عبد الله الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي، نشر: دار طوق النجاة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

١٧ - تفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير)، للإمام أبي حيان محمد بن يوسف بن علي ابن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر: دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ.

١٨ - تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٩ - تفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٢٠ - تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢١ - تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، للإمام أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٢ - تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، للإمام أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي.

٢٣ - تفسير الشوكاني (فتح القدير)، للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، نشر: (دار ابن كثير- دمشق)، (دار الكلم الطيب- بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٤ - تفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل

الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، للإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، نشر: مؤسسة التاريخ العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٢٥ – تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، تحقيق الشيخ: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٢٦ – تفسير ابن عجيبة (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)، للإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الصوفي تحقيق: د/ أحمد القرشي رسلان، د/ حسن عباس زكي، القاهرة ١٤١٩هـ.

٢٧ – تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٨ – تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، للإمام محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٩ – تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني – إبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٣٠ – تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٣١ – تفسير الماوردي (النكت والعيون)، للإمام أبي الحسين علي بن محمد بن محمد الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٢ – تفسير المراغي، للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

٣٣ – تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، للشيخ/ محمد رشيد بن علي رضا، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩٠م.

٣٤ – التفسير المنير، للدكتور/ وهبة مصطفى الزحيلي، نشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

٣٥ – تفسير النسفي (مدارك التتريل وحقائق التأويل)، للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، نشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م

٣٦ – تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٧ – التفسير الوسيط، للإمام أبي الحسين علي بن أحمد بن محمد الواحدي، تحقيق وتعليق: مجموعة من العلماء، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٣٨ – التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، نشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٣٩ – التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، نشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

٤٠ – تهذيب اللغة، للإمام أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٤١ – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للشيخ/ أحمد إبراهيم الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: الدكتور/ يوسف الصميلي، نشر: المكتبة العصرية – بيروت.

٤٢ – دراسات في علوم القرآن، للدكتور/ فهد بن عبد الرحمن الرومي، الطبعة: الثانية عشرة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٤٣ – دراسات في علوم القرآن، للدكتور/ محمد بكر إسماعيل، نشر: دار المنار، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٤٤ – سنن الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سوْرة الترمذي، تحقيق: الشيخ/ أحمد محمد شاكر – محمد فؤاد عبد الباقي – إبراهيم عطوة، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٤٥ – سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، تحقيق: حسن سليم أسد، نشر: دار المغني للنشر والتوزيع – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ٢٠٠٠م.

٤٦ – سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، تحقيق: الشيخ/ شعيب الأرناؤوط – محمد كامل قرة، نشر: دار الرسالة العالمية،

الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤٧ – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٨ – الصناعتين: الكتابة والشعر، للإمام أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: المكتبة العصرية – بيروت، ١٤١٩هـ.

٤٩ – صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

٥٠ – صحيح ابن حبان، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، تحقيق: الشيخ/ شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.

٥١ – صحيح ابن خزيمة، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، تحقيق: الدكتور/ محمد مصطفى الأعظمي، نشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

٥٢ – صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث – بيروت.

٥٣ – عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للإمام بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: الدكتور/ عبد الحميد هنداوي، نشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٥٤ – علم المعاني، للدكتور/ عبد العزيز عتيق، نشر: دار النهضة العربية للطباعة

والنشر والتوزيع – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٥٥ – علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، للدكتور/ محمد أحمد قاسم – الدكتور/ محيي الدين الديب، نشر: المؤسسة الحديثة للكتاب – لبنان، الطبعة: الأولى ٢٠٠٣م.

٥٦ – علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي.

٥٧ – لسان العرب، للإمام جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، نشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٥٨ – مباحث في علوم القرآن، للدكتور/ صبحي الصالح، نشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة والعشرون، ٢٠٠٠م.

٥٩ – مختار الصحاح، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر: (المكتبة العصرية – بيروت)، (الدار النموذجية – صيدا)، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٦٠ – المستدرك على الصحيحين، للحاكم أبي عبد الله محمد بن محمد بن حمدويه النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٦١ – مسند أحمد بن حنبل، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: الشيخ/ شعيب الأرناؤوط وآخرين، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ٢٠٠١م.

٦٢ – معجم مقاييس اللغة، للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٦٣ – مفتاح العلوم، للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، تحقيق:

نعيم زرزور، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٦٤ – المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، للدكتور/ محمد علي الحسن، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٦٥ – المنهاج الواضح للبلاغة، لحامد عوني، نشر: المكتبة الأزهرية للتراث.

٦٦ – النبأ العظيم، للعلامة الدكتور/ محمد عبد الله دراز، نشر: دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٦٧ – نفحات من علوم القرآن، لمحمد أحمد محمد معبد، نشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

□

فهرس الموضوعات